الفصل الثانى

التـــأويـــل

أولاً : أهمية دراسته وطبيعته

يرى « رويس » أن التأويل عملية ضرورية ، وإذا كانت قيمة حياة الفرد ومعرفته لذاته ، تستند على تفسيره لحياته ، وإمتداده بذاته ، من جهة ، وقيام المجتمعات يتوقف على قدرة الأفراد على تأويل أنفسهم من جهة أخرى ، فأن التأويل قد أصبح ضرورياً لوجود كل من الذات الفردية ووجود المجتمع . والحقيقة أن القيام بالتأويل ليس عملاً إختيارياً، وإنما تتطلبه دائماً حاجة إنسانية ملحة ، ويخطأ كل من يتصور عدم الحاجة للتأويل ، عند معالجة مسائل الدين أو موضوعات الفلسفة . فلقد وضح أن فهم صلة المذهب المسيحى فى الحياة ، بالعالم الواقعى تعتمد على فهم محدد لفكرة المجتمع ، الذي يعتمد فى تكوينه وتشكيله على الطريقة التى يفسر بها كل عضو من أعضاء حياته ، ولقد ظهر إيضاً أن الذات الإنسانية نفسها ، ما هى إلا مجموعة من الخطط والذكريات والآمال والأعمال ، ولا تتحقق وحدتها بدون عملية التأويل ، كذلك قد وضح أن المجتمع ، ما هو إلا مجموعة من الأفراد ، الذين فسروا حياتهم وذاتهم ، بصورة حققت نوعاً من الوحدة بينهم ، لذلك بدون وجود تفسيرات وتأويلات فى العالم ، لا وجود لنفوس أو لمجتمعات (١) .

والحقيقة أن أى فلسفة ما هى إلا تفسيراً للحياة أو للكون أو كلاهما ، الأمر الذى يشكل أهمية لمعرفة ما هو التأويل . وقد يصعب المقصود تحديد بالتأويل تحديداً دقيقاً نظراً لتطبيقاته العديدة فتفسير نص مكتوب بلغة مختلفة وتأويل الفرد لحياته ، والتفسير الفلسفى لهذه أو تلك الفكرة الدينية ، والتفسير العلمى لمصير الفرد أو الكون ، كلها عبارة عن أنواع مختلفة للتأويلات ، ويرى « رويس » أنه إذا تم البحث عن العنصر المشترك فى هذه التأويلات المتنوعة والمختلفة . يتضح أن التأويل عبارة عن مسلك عقلى ، يمثل طريقة مختلفة للتفكير ،

---

(١) J.Royce : The Problem of Christianity , P.I p.112.

يتبعها المفسرون بصرف النظر عن الموضوعات التى يقومون بتأويلها . لذلك إذا ما نظر للتأويل ، كعملية عقلية ، أو كنمط من أنماط المعرفة ، فإنه يبدو مختلفاً عن العمليات العقلية المعرفية الأخرى سواء فى الموضوعات والعلاقات التى ينسبها إليها أو فى الغايات التى يهدفها منها (١) . ولذا تتطلب معرفة معنى التأويل وموضوعاته وغاياته إجراء مقارنه بينه وبين العمليات المعرفية الأخرى وموضوعاتها (٢) .

أ – قصور التصنيف الثنائى للعمليات المعرفية :

يري « رويس » أن التعارض بين الإدارك الحسى والتصور ، قد سيطر على تصنيف العمليات الفكرية طوال تاريخ الفلسفة فقال ، البعض « بالإدراك الحسى » مصدراً « وحيداً » للمعرفة ، وقال البعض الآخر ى « بالتصور » . ولئن ظهرت إتجاهات للمزج بينهما ، إلا أنها جاءت غامضة ، أو ناقصة ، ولا تقول بوجود عنصر ثالث بجانب « الإدراك » « والتصور » . يقول « برجسون » إنه ليس هناك حاجة للتصور ، وما التصور إلا بديلاً مؤقتاً للإدراك ، ولا يحتاج الإنسان للتفكير عموماً ، إلا لكى يوسع ما جاء من الإدراك (٣) . والحقيقة إنه إذا أمكن الإعتراض على مقولة « برجسون » بأهمية التصور ، لأن الإدراك غالباً ما يخدع ، وبأن « التصور » هو الطريق الحقيقى والصحيح لفهم الواقع ، أى بمعنى آخر ، إذا فضل أحد « أفلاطون » عن « برجسون » فإنه لن يسلم من التصنيف الثنائى للمعرفة ، ولئن كان قد حدث نوع من الإعتراف بوجود مستقل للعقل ، وللعمليات العقلية ، التى تعلوا العمليات البسيطة للإدراك والتصور ، إلا أنها لا تؤكد وجود نوع ثالث للمعرفة ، فتأكيد « برجسون » على إعتبار التفكير صورة أو درجة خاصة من عمليات المعرفة ، لا يعنى وجود طريق ثالث لها . كذلك عندما قال « كانط » ، بثلاثية « الحواس » و « الفهم » و « العقل » وأعطى للفهم قوة تشكيل وإستخدام « التصورات » ، والعقل قوة الإدراك ، وقال بوظيفة ثالثة للعقل ، لم يوضحها بصورة تفصيلية ، فإنه يظل معتمداً على التباين بين الإدراك والتصور ، إنه ولئن قد حاول الإقتراب من الإعتراف بوجود مصدر ثالث

(١) Ibid ., p. 114

(٢) Ibid ., p. 115.

(٣) Ibid ., p. 118

للمعرفة ، إلا أنه لم يصرح مطلقاً بتصنيف ثلاثى لها [١] .

ويؤكد « رويس » أنه بالرغم من إنتشارالتصنيف الثنائى للمعرفة . إلا أن الحياة الواقعية تؤكد أنه لا وجود لإدراكات بحته أو تصورات صرفة ، وإنما هناك نوع من الوحدة أو الإتحاد أو التركيب . وإذا كان كل من بين التجريبين والعقليين والبراجماتيين والمثاليين قد إتفقوا على وجود هذا الإتحاد ، وإختلفوا فى نوعه ، إلا أن أيا منهم لم يصرح بوجود نوع ثالث للمعرفة إلى جانب الإدراك والتصور . كذلك ولئن إعتراف بعض الفلاسفة منهم بأنه من الممكن تكوين مركب من « الإدراك » « والتصور » من خلال وجود نوع من النشاط العقلى كالإنتباه أو سلسلة الأفعال الإدراية ، إلا أن ذلك يعتمد على وجود طرفين متقابلين ، يدخل عليها « عامل ثالث » ، سواء كان وعداً [٢] · أو « إرادة » ، يجمع هذين النقيضين فى مركب ما ، ولكنه لا يختلط بهما أو يتعاون معها ، لذلك لا يعتبر هذا « الفعل » أو النشاط الإرادى ، عنصراً ثالثاً إلى جانب كل من « الإداك » والتصور فى العملية المعرفية ، فقد بعد هذا الفعل مجرد رغبة وبذلك يظل التباين الثنائى بين الإدراك والتصور قائماً [٣] .

ب : الحاجة إلى عنصر معرفى ثالث

ويبرر « رويس » الحاجة للتأويل ، بأن إذا كان التصنيف الثنائى للمعرفة يعتمد على « موضوع » المعرفة ، فيكون « موضوع » الإدراك الحسى هو الجزئى والمعطيات الحسية والجزيئات ، ويكون « موضوع » التصور هو الكلى ، أو الصفات العامة المجردة ، فأين يضع الفرد « عقل جاره » ، أيكون عقله مدركاً حسياً ، يمكن إدراكه مباشرة أم يكون على العكس مجرد إسم كلى أو نوع من الوجود المتصور ؟ وإذا كان « التصور » وعداً بالدفع ، ويحتاج إستبدالاً من « ذهب » الإدراك المباشر[٤] ، الذى يقدمه الفرد كقيمة نقدية لفكرته عن « عقل » جاره ؟ الحقيقة الواضحة أنه لابد من وجود « التأويل » كنوع ثالث للمعرفة ، تتم به معرفة « عقل الجار » والحقيقة إن « موضوعات المعرفة » التى يمكن إدراكها أو تصورها

---

(١) Ibid .,p. 120

(٢) Ibid ., p. 122

(٣) المقصود هنا « برجسون » فى إعتباره التصور وعداً بالدفع

(٤) المقصود المعرفة عند « برجسون »

غالباً ما تحتاج للتأويل . فمعرفة « الموضوعات العقلية » أو « الرموز » التى يعبر « عقل » مابها عن وجوده وعملياته مسألة يصعب إكتسابها بالإدراك أو بالتصور، و بالتالى فإنها تشكل موضوعات للتأويل . كذلك يلاحظ أن موضوعات التأويل تستقل عن موضوعات « الإدراك » و« التصور » ، بل ويعتبر التأويل عملية معرفية مستقلة . وإذا كان « برجسون » يعتبر الإدراك قيمة فورية « ذهب » والتصور ، قيمة مؤجلة ، (بنكنوت) ، والوعد بالدفع من جانب البنك علاقة بينهما ، فهناك قيم أخرى فى التجارة إلى جانب القيمة الفورية والقيمة المؤجلة ، فمثلاً إذا كان هناك « مسافر » يريد عبور الحدود ، ولدية « عملة » لا تستخدم فى الدولة المسافر إليها ، فإن عليه أن يقوم بإستبدالها ، وقد تكون عملية « تبديل العملة » ، سهلة أو صعبة ، عشوائية أو قانونية ، إلا أنها تعد عملية ثالثة ، تختلف عن تقديم القيمة الفورية أو قبول القيمة المؤجلة ، وإنما هى عملية « تأويل » للقيمة الفورية فى بلد ما بالقيمة الفورية لبلد آخر . ولا حاجة هنا لمعرفة القواعد التى سلك بناءاً عليها كل من « المسافر » و« الصراف أو « تاجر العملة » أو التى على أساسها تم التأويل ، وإنما المهم أن تلك العملية تعد نوعاً جديداً من التعامل (١) .

ويعتبر « رويس » التأويل ضرورياً لقيام العلاقات الإجتماعية والروحية . فيقف كل فرد فى محاولة إتصالة بالآخرين موقف المسافر على الحدود بين دولتين ، دولته التى يحيا بها ، والدولة الأخرى ، التى تقع على الجانب الآخر للحدود ، ويرغب فى السفر إليها . ففى تعامل الفرد مع « جاره » ، لايكون مشاركاً للجار فى إدركاته وتصوراته ، ولئن أمكن الإتصال بينهما فى مجال « التصورات » ، إلا أن التركيب والعملية التى ينتقل بها الفرد من « تصوراته » إلى المدركات ، تكون عملية متفرده وذاتيه بحته ويصعب مقارنتها بالعمليات المشابهه لها فى « عقل » جاره . إن معرفة المدركات المباشرة لفرد آخر ، ومعرفة ما يدور فى خلده ، تعد أمراً فى غاية الصعوبة . وتشبه محاولة الفرد لرؤية العالم كما يراة الآخرون ، محاولة المسافر إستبدال عملته على الحدود ، فيحاول الفرد تعلم كيف يستبدل « قيمه » ، بعملة أو قيم تصلح فى عوالم روحية عقلية أجنبية غريبة وجديدة ، بل وعندما يجتمع نفر من

(١) J.Royce : The Problem of Christianity , P.I pp.128 - 133.

الناس فإن كل منهم يحاول العبور وإستبدال « قيمه » الفورية والآجلة . ومثلما تختلف عملية إستبدال أوراق « البنكنوت » بقيمتها الفورية « ذهب » ، عن عملية تحويل العملة » إلى عملة دولة أجنبية أخرى ، كذلك تختلف عملية إستبدال الفرد لتصوراته بالمدركات ، عن عملية فهم وتأويل « عقل جارة . فالحقيقة إن المعرفة الكاملة ، لا تتحقق بدون التأويل ، لأن هناك حاجة للتأويل لمعرفة عالم ما بعد الحس ، أو العالم الروحى العقلى [١] .

ولا يحتاج الفرد إلى « التأويل » فقط فى علاقته الإجتماعية مع الآخرين ، بل يحتاج له أيضاً لكى يعرف نفسه . فغالبا ما يحدث فى حياة الفرد الباطنية ، أن يضطر إلى عبور الحدود ، فيعبر إلى عالم آخر غير عالم التجربة ، أى إلى عالم الرغبة والأمل والقرار . ولاتتعلق المسألة ، بأن أفكاره السابقة لم تعد « تعمل » كما يقول البراجماتيون ، أو أن الأوراق النقدية » لم تعد قابلة للصرف ، بما يقابلها من الإدراكات الباطنية التى إعتاد الفرد عليها . وإنما يتمثل موقف الفرد ، فى أن كل من أفكاره وخبراته وخططه ، وقدرته على تحقيقها ، قد أصبحت تعانى من عملية « تحول درامى » ، وفى تلك اللحظات ، يحتاج الفرد الأن يعرف « حلمه » « وتفسيرة » ففى مرحلة الشباب مثلاً أو عندما يواجة الفرد كارثة فى حياته ، أو يكلف بعمل جديد ليس لدية خبرة به ، أو يعتنق ديناً جديداً ، ويضطر الفرد غالبا إلى عبور الحدود ، ولا يجد الطريق ممهداً لمعرفة نفسه فمعرفة النفس لا تتم بحدث مباشر [٢] . والحقيقة إن التفكير يتضمن « محادثة » أو حواراً باطنياً ، يكشف به الإنسان سريرته ، ويشبه التفكير عملية الإستدلال التى ترشد النشاط أو السلوك الإجتماعى الذى يعتمد عليه الفرد فى تأويل أو تفسير « عقل الجار» ، ولا يمكن رد هذا الإستدلال إلى الإدراكات أو إلى التصورات [٣] . بذلك يقرر « رويس » بأن هناك حاجة للتأويل ، عندما يحاول الفرد الإتصال بالآخرين ، أو عندما يحاول الغوص فى أعماقة وعبور الحدود .

---

(١) Ibid ., p. 136

(٢) Ibid ., p. 138.

(٣) Ibid ., p. 139

جـ – الشروط الصورية للتأويل :

ويتضمن التأويل ثلاثة أطراف ولا يمكن إكتمال عملية التأويل ، بذكر طرفين فقط . فمثلاً إذا كان هناك عالم « مصريات » ، يترجم نصاً إلى اللغة الإنجليزية ، فالترجمة تعد نوعاً من التأويل ، وتقوم على ثلاثة أطراف ، النص المصرى القديم ، والمترجم « عالم المصريات » ، والقارئ الإنجليزى . والمترجم عباره عن فرد يعبر عن نفسه من خلال لغتين ، أو فردين أو كائنيين ، أو نمطيين من الفكر ، ولابد أن يعرف « المفسر » كلا اللغتين ، حتى يكون مفهوماً من جانب الشخصين اللذين يقوم بالترجمة بينهما ، وتتضمن هذه العلاقة الثلاثية ثلاثة حدود منفصلة ومتميزة ، وذات نظام محدود ، ويعتبر « المفسر » أولها ، « والموضوع » المراد تفسيره ثانيها ، « والمستفيد » من التفسير ثالثها . وتعد هذه العلاقة الثلاثية شرطاً صورياً لأى عملية تأويل . وعندما يفسر الفرد ذاته ، يوجد ثلاثة أطراف أيضاً ، بالرغم من أن الفرد كائن واحد ، فهناك « الأنا » الماضى ، و « الأنا » الحاضر « و الأنا » المستقبل ، وعندما يتأمل الفرد « ماضية ، ويتذكر مثلاً وعداً يكون قد قطعة على نفسه ، فإنه يفسر فى « اللحظة الحاضرة » ، ما عبرت عنه « ذاته الماضية » ، فالأنا » الحاضر يفسر ، والأنا الماضى « موضوع » التفسير والأنا المستقبل « المستفيد من التفسير » ، وكأن الفرد يقول فى « نفسه لقد وعدت بعمل كذا ، وعلى الآن أن أقوم بفعله » [1] . وإذا ما تم نقل التجربة الذاتية ، والإطار الصورى لتأويل الفرد لذاته إلى الخارج ، فإنه يمكن الوصول إلى عدة نتائج ميتافيزيقية .

ويعرض « رويس » للنتائج الميتافيزيقية للتأويل فيرى بأن ما يوصحه التأمل الباطنى للأنا يكون مجسداً فى الخارج وفى تاريخ العالم ، بل وتتشابه العلاقات المتضمنة فى تفسير الذات مع العلاقات التى ترتبط تاريخ العالم ، فيربط « الحاضر » بالماضى و بالمستقبل ، ويستطيع أى « فرد » يحيا فى الحاضر ويكون على معرفة بوقائع الماضى ، أن يفسرها لفرد

(١) J.Royce : The Problem of Christianity , P.I p144.

ما فى المستقبل ، وإذا كان المقصود بالماضى الحوادث المسجلة والذكريات ، فإن المقصود بالمستقبل الحوادث التى يمكن أن تخضع للإرادة الحرة للأفراد ، وتستحق أن ينصح بها الفرد نفسه والآخرين بها . وطالما كانت أحداث وعمليات التاريخ المسجلة فى مكان ما من العالم ، تؤثر على تطورات حوادث المستقبل ، فإن يمكن القول بأن « الحاضر » يفسر الماضى للمستقبل على الأقل فى هذا الجزء من الكون ، ومن ذلك يطابق البناء النفسى والميتافيزيقى لعالم الزمان البناء الثلاثى للتفسيرات والتأويلات الذاتية ، أو التى يمارسها الفرد ذاته [١] . ويقارن « رويس » بين « التأويل » وكل من « الإدراك » « والتصور » فيؤكد أن التأويل عبارة عن مناقشة وليس عملاً فردياً ، ويكون موضوع « التأويل » ذا طبيعة عقلية، وطالما أن التأويل فعل من أفعال العقل ، فإن يعد فى حد ذاته ، علامه [٢] ، ويحتاج بدوره إلى تفسير ، ولذلك يعد التأويل عملية إجتماعية لا تنتهى ، ولا تتوقف عملية « التأويل » إلا بسبب « الموت » أو الإنفصال الإجتماعى ، فعملية التأويل تستدعى فى حد ذاته سلسلة لا نهائية من التفسيرات ، وكون التفسير موجهاً لفرد ما ، فإنه يحتاج تأويلاً جديداً من الشخص المطلقى وهكذا ، لذلك إذا كان كل من « الإدراك » و« التصور » يكتسبان ثرائها من الخارج ، فإن التأويل عملية عقلية مستمرة لا تتوقف إلا بإعتراض من الخارج [٣] . وإذا كان عالم « التصور » وعالم « الإدراك الحسى » يحرمان الفرد من معرفة وجود الله ووجود الإنسان ، فإن التأويل قادر على إرشاد الفرد إلى عالم الروح . كذلك يؤدى التأويل إلى رؤية جديدة لنظرية المعرفة ، تختلف عن رؤية أصحاب التصنيف الثنائى لها ، فلا تصبح الحقيقة متغيرة كما يقول البراجماتى وإنما تظل الأحكام الواقعية والعملية ثابتة إلى الأبد ، سواء كانت أحكاماً صائبة أو خاطئة . لأن التأويل يعتمد على تفسير « الحاضر » للماضى ، والماضى ثابت وغير قابل للإلغاء ، وكل حكم عملى وواقعى ، ويستند على « فكرة » ماضية لتوجيه « فعل » فى المستقبل . كذلك إذا نصح « الأنا الحاضر » لفرد ما ، ذاته المستقبلية ، بالقيام بفعل ما ، وتم إتباع الفرد للنصيحة ، فإن الفعل الذى سيقوم به ، يعتبر فعلاً فردياً ، ولذلك يظل فعلاً ثابتً وغير قابل للإلغاء من حياته [٤] .

---

(١) Ibid ., p. 148.

(٢) تشير كلمة علامة لموضوع التأويل عند«شارلز بيرس»ويستخدمها «رويس » بنفس المعنى

(٣) Ibid ., p. 150.

(٤) Ibid ., p. 150.

ويخلص « رويس » إلى ضرورة وجود عالم « التأويل » إلى جانب عالمى الإدراك والتصور ، ولكل ودوافعه النفسية وموضوعاته ، ويختلف التأويل من الناحية الصورية عن « الإدراك » « والتصور » بتضمنه لعلاقة ثلاثية ، ويفترق عنهما من الناحية النفسية فى أن غايته وهدفه عملية إجتماعية ، فالتأويل وسيلة لإدراك الوجود الفردى والحياة الباطنية للآخرين ، ويحول الحياة الباطنية إلى حوار ومحادثة ، فليس لدى الفرد معرفة حدسية ، أو إدراك كامل أو تصور كاف لنفسه أو للآخرين (١) . كما يؤدى التأويل من الناحية الميتافيزيقية إلى معرفة وجود الحياة الباطنية للآخرين ، وفهم مكونات الخبرة الزمنية ، وما تحويه من تعاقب متراكم من الأفعال اللانهائية ، وإلى معرفة واضحة لكيفية وجود الذات والمجتمعات ، وعالم الروح ، وهى أمور كان لا يمكن الحصول عليها من التصورات الفارغة أو من الإنسياب العشوائى للإدراكات المتداخلة . وإذا كان « برجسون » يطلب تعلم « الإدراك » من الفنان ، فالحقيقة الواضحة أن عمل الفنان يعد دائماً نوعاً من التأويل . يفسر للبشرية حياتها وأعمالها ، ويعتمد على أفرادها فى تحديد حياة مجتمعات التفسير . ولا يمارس الفنان عمله بدون غاية وإنما بسبب حبه لوحدة الروح الإنسانية . فبأعمال الفنانين تدخل الوحدة حياة البشرية ، ولا يعتمدون فى مهمتهم على الإدراك ، أو التصور ، ولا يتأرجحون بين « تصورات » لا يحبونها وإدراكات يرغبونها ، فالذين ينظرون للمعرفة كتباين بين الإدراك والتصور ، يكونون في وضع « فاوست » دائماً ، وقد يجدون خبراتهم ذا قيمة فورية ولكن لن يجدوا ما خلق كل الأديان الكبرى ، وكل أنواع الولاء والمعارف الحقة للعالم ، خاصة تلك المعارف التى يقدمها التأويل ، والتى يعبر بها الفرد حياته ، « الإدراكية » والتصورية ، ليعرف كنوز عوالم أخرى ، ويفهم معنى الزمان، ويقرأ معنى الفن والحياة (٢) .

والحقيقة وبالرغم من تصريح « رويس » بالإعتماد على « شارلزبيرس » فى عرض موضوع التأويل (٣) ، إلا أن هذا العرض ، لا يوضح أى الإفكار تنتمى إلى « شارلزبيرس » وأيها ينتمى إلى « رويس » ولذا يبدو أن « رويس » يعرض « شارلزبيرس » من خلاله أو كما يتصوره ، فلئن أشار « رويس » إلى إعتماده على « شارلزبيرس » فى فهم طبيعة

---

(١) Ibid ., p. 160.
(٢) Ibid ., p. 136.
(٣) Ibid ., p. 116

التـأويل ، إلا إنه لا يعده مسؤلاً عن النتائج التى إنتهى إليها . لذلك يصعب الفصل بين أين ينتهى « بيرس » وأين يبدأ « رويس » . ويختلف الموقف عند عرض آراء « برجسون » إذا يعرضه مستقلاً ومشيراً إلى عباراته . والحقيقة أن موقف « رويس » من « شارلز بيرس » ، يشبه إلى حد ما موقفه من فلاسفه آخرين . إذا يقرر أنه يعرض الفيلسوف من خلال فهمه وتفسيره ، وكأنه المسئول عن هذا الشرح والتفسيرات أو يقوم بعملية تأويل ، وبذلك يتوحد معه ، بصوره يصعب الفصل بينه وبين الفيلسوف . ويمكن تفسير هذا الموقف ، من الفلاسفه الذين يتوحد بهم ، بأنه يتبع نوعاً من التأويل لفكر الفيلسوف . فيعرضه من خلال فهمه الخاص لفلسفته ، أى يعتبر أنه نوع من « التوسع الذاتى » ، فيصبح فكر الفيلسوف جزءاً من أفكاره الفلسفية . فلا يعرض فكر الفيلسوف فى عبارات الفيلسوف نفسه ، وإنما يعرضه من خلاله كجزء من تفكيره ، فإذا كان « للأنا » أن يتوسع ، فيحوى أفكاره وأحداثاً ، لم تكن تنتمى إليه ، فإن فلسفة « رويس » أفضل مثال على ذلك ، ويتوحد منهجه مع فلسفته . ومن الواضح أن « رويس » يعتبر التأويل عند « شارلز بيرس » بنوراً يمكن أن تنبت نتائج جديدة ، إذا ما تم نقلها من تربتها الذاتية إلى الواقع الخارجى ، أو إذا تم تطبـيق إطارها الصورى على العالم الخارجى ، وبذلك يتم الإنتقال من الذات إلى الخارج ، ويتأكد التصور الذاتى للعالم ، والنظرة الذاتية ، والواقع أن تلك المماثلة وذلك الإنتقال قد لا يتسق مع روح فلسفة « رويس » ومثالية المطلقة . إذ يجعل ذلك الإنتقال فلسفة « رويس » أقرب إلى المثالية الذاتية منها إلى المثالية الموضوعات أو المطلقة .

ثانياً : المكونات الأساسية للتأويل

ويؤكد « رويس » أن طالما يعتبر التأويل أحد العمليات المعرفية ، وتعد دراسته عاملاً مساعداً لفهم البحث الميتافيزيقى عن طبيعة وحقيقة المجتمع، فلابد من معرفة مكوناته الأساسية ، والأساس النفسى لعملية التأويل ، والمتمثل فى إرادة التأويل ، كذلك طالما أن التأويل عملية معرفية إجتماعية ، فلابد من دراسة طبيعة مجتمع التأويل ، ودلالته النفسية

والأخلاقية ، ورسم صورة للمثل الأعلى الذى يرشد المؤول المحب للمعرفة . الأمر الذى يلقى مزيداً من الضوء على فكرة المجتمع المثالى ، ويوضح الخطوط العامة لميتافيزيقا التأويل . كذلك يرى « رويس » أن طالما كان التأويل عملية معرفية ، فإن كل إنحراف عنه ، يؤدى إليه ، فالتأويل عمل الفلسفة الرئيسى [١] . وإن كان التأويل عملية معرفية إجتماعية ، والإنسان حيوان « مفسر » يحيا فى مجتمع ، ويعتمد عليه فى المعرفة والخلاص ، إلا أن الصورة النفسية « للتأويل » ، يراها الفرد فى داخله ، سواء كان يحيا فى مجتمع أو يعيش منعزلاً ، فيستطيع الفرد أن يقوم بالتأويل دون الإعتماد على الآخرين .

أ – المقارنة

ويعتمد « رويس » على شرح « شارلز بيرس » للعمليات العقلية للتأويل ، كيف تتضمن عملية المُقارنة ، بإعتبارها عملية فكرية وحالة شعورية واضحة ، صورة أولية للتأويل ، الأمر الذى يتيح دراسة التأويل ، بعيداً عن المشكلات المرتبتة على الإتصال بعقول الآخرين . وتقوم « المقارنة » كعملية عقلية على الوعى بعلاقات « التشابه والإختلاف » ، فتوقظ صدمه « الإختلاف » « الإنتباه » ، ويجذب « التشابه » غير المتوقع « الإهتمام » ويرى « رويس » أن فعل المقارنة لايعد فعلاً كاملاً لمجرد ملاحظة التشابه والإختلاف ، وإنما يكتمل بالتساؤل عن ما الذى يشكل الفرق بين « أ » و « ب » أو ما الذى يشكل التشابه بينهما ، فلكى يكتمل فعل « المقارنه » ، لابد من وجود « فكرة وسيطه » أو « ثالث » يقوم بتفسير كل طرف للآخر ، فلئن كانت المقارنة تحتاج لعلاقتى التشابه والإختلاف ، إلا أنهما لا يمثلان فى حد ذاتهما تأويلاً أو تفسيراً [٢] . فالتأويل يخلص الفرد من الحيرة الناتجة من ملاحظة التشابه أو الأختلاف بين موضوعين ، بإرشاده إلى معرفة الطرف الثالث . وفى بعض المواقف ، قد يلاحظ الفرد وجود إختلاف بين موضوعين ، ولكنه لا يستطيع تحديده ، وفى هذه الحالة يكون قد إستخدام « الفكرة الثالثة » ، دون معرفة معناها ، وبالتالى تظل المقارنه ناقصة .

---

(١) J.Royce : The Problem of Christianity , P.I p.168.

(٢) Ibid ., p. 173.

وتتصف المقارنه فى جميع حالاتها وموضوعاتها ، بأنها تتم بين فكرتين متميزتين ، ومتعارضتين ويحدد التعارض والتمايز بينهما فعل المقارنة ولا يكون الإختلاف بينهما إختلافاً فى الإدراك والتصور وإنما فى تناقض بنائهما ودوافعها ونتائجها فتكون العلاقة بينهما كعلاقة « المدعى » و « المدعى عليه » فى المحاكمة ، أى تنتمى كل منهما لتيار فكرى مختلف (١) . ولذلك لا تكمن المسألة فى ربط المدركات بما يناسبها من تصورات أو تحويل التصورات إلى مدركات ، وإنما فى حسم الصراع ، والفصل فى النزاع ، وحلول نوع من التفاهم بين الغرباء ، وتوحيد حياة الفكرتين فى مجتمع ما ، بحيث يتعاونان ويلتحمان فى حياة جديدة ، لذلك حل مشكلة المقارنة يتم بفعل جديد ، ويتمثل فى إكتشاف أو إختراع فكرة ثالثة ، تتميز وتختلف عن كلاً الفكرتين موضوعا المقارنة ، وقد تفسر « الفكرة الثالثة » إحدى الفكرتين ، أو فكرة فى ضوء الأخرى ، أو تفسر كل منهما للأخرى والسؤال يفرض نفسه الآن ، ما الذى يتم إكتسابه أو الحصول عليه من المقارنه ؟ أو طالما أن المقارنه تتضمن فعلاً لتفسير فكرة فى ضوء الأخرى ، فما الهدف الباطنى لإرادة التفسير ؟ .

إن الدوافع التى تجعل مقارنه ما بين فكرتين ، ذا أهمية للفرد القائم بالمقارنة ، تتمثل فى أن المقارنه ، تؤدى إلى فكرة جديدة ، وإلى ثالث وإلى تفسير لفكرة ، ودائماً ما تولد هذه الفكرة الجديدة ، درجة من الوضوح حول وجود الفرد ومعناه ، فيبين له الثالث الجديد نفسه كما هى ، ويرى عالمه الفكرى ويحقق له التحديد والتحكم الذاتى ، فيتعلم كيف يربط مدركاته الجزئية ، وكيف يحيا كما لو كان للحياة هدف واحد . والواقع أن هناك الكثير الذى يتعلمه الفرد ، عندما يعرف كيف يكون قادراً على جمع ثلاثة أفكار فى عقله فى وحده واحده (٢) . ومن يصل إلى معرفة « الفكرة » التى يفسر بها فكرة ما فى ضوء فكرة أخرى ، يكتشف ماهية العقل ، إن المقارنة عبارة عن حدس عقلى أو عقل ملاحظ أو أداة تسترشد بها كل العقول الرائدة فى العالم ، فالمقارنة أساس العملية المعرفية (٣) . فلقد لاحظ « داروين » وقارن وإكتشف الوسط ، وجمع الأفكار المتناقضة فى وحدة واحدة ، وواجهة النبى « عاموس » التناقضات الأخلاقية والدينية فى عصره ، وقدم لعصره

---

(١) Ibid ., p. 184.

(٢) Ibid ., p. 185.

(٣) Ibid ., p. 188

« فكره الله » الذى يسعد بالصلاح كفكرة وسط،الأمر الذى أدى إلى إتخاذ الدين وجهه جديدة فى العصور اللاحقة ، وإذا ما تم التفكير فيما كتبه « بولس » عن المحبة والبعث ، يلاحظ الدور الكبير للمقارنه والتوسط . والحقيقة أن « التأويل » قد قدم للبشرية معارف لا حصر لها فى العلم والدين والفن [١] . وجاء كل فكر خلاق من المقارنة بين فكرتين عظيمتين ومعرفة « الفكرة الثالثة » التى تتوسطهما . وغالباً ما تستعمل كلمة حدس أو « رؤية » أو « بصيرة » للتعبير عن هذا النوع من الفكر ، الذى ينظر من أعلى لفكرتين ويكتشف الثالث بينهما . وإذا كانت كلمة « حدس » تستخدم إلى الإشارة إلى هذه القدرة العقلية ، فإنه لا يعنى إدراكها أو تصوراً ، أن المقارنة تؤدى إلى رؤية الحلول وإكتشاف الوسائط والوحدة ، فهى أساس العملية المعرفية التى يتم بها فهى الحياة والتعامل معها .

ب : إرادة التأويل

ويرى « رويس » أن عند الإتجاه لدراسة الحياة النفسية للمؤول ، فإن إرادة التأويل تظهر كنوع من الرغبة فى الإعتداد بالذات والثقة بالنفس ، فمن يقارن بين فكرتين ، تحقق له رؤيتها من أعلى ، نوعاً من الوحدة الفكرية والذاتية ، ويعتمد إكتساب الفرد لمثل هذه « الرؤية » أو « البصيرة » على عوامل نفسية متعددة ، وعلى مدى نجاح الفرد فى إكتشاف الوسائط المناسبة . ولذلك يعد نجاح الفرد فى المقارنة وإكتشاف الثالث أمراً حيوياً لحياة الفرد النفسية . وبالرغم مما قد يوجه من نقد للمقارنة ، بأنها لا تحقق الحصول على حقائق مطلقة ، بسبب إستمرارية إكتشاف « الثالث » إلا أن ذلك ليس صحيحاً ، فالمقارنة قادرة على إمداد الفرد بالمعرفة المحددة والضرورية وتعتمد فى ذلك على الأفكار التى تتم المقارنة بينها وعلى الغرض من المقارنة ، ومهارة الفرد فى الوصول إلى تحقيق الوحدة ، والحقيقة إن عند القيام بعملية « تأويل » بين مركبات فكرية ، وإستخدام « الرموز » ، فإن النتائج التى يتم التوصل إليها ، تكون صادقة ومحددة ، طالما كانت الفكرتان المتقابلتان اللتان تجرى بينهما المقارنة محددتين . وقد تكون النتيجة جديدة فى خبرة الفرد [٢] . إلا أنها تتصف فى

---

(١) Ibid ., p. 190.

(٢) Ibid ., p. 192.

نفس الوقت بالإطلاق والثبات [١] . والواقع أن المقارنة عملية إستنباطية ، تعتمد على سلسلة من التجارب الفكرية ، ولما كان الإستنباط لا يهتم بصدق النتائج ، بقدر إهتمامه بإتساقها مع المقدمات التى جاءت منها ، فإن إكتشاف واقعة أن مجموعة من المقدمات تلزم عنها نتيجة معينة ، لا تتحقق « بالإدراك » أو « التصور » ، بل يتم إكتشافها بالتأويل ، والحقيقة أنه من الخطأ التصور بأن الإستدلال لا يؤدى إلى معرفة جديدة ، بسبب تضمن النتيجة فى المقدمات ، فلقد ثبت أن الإستدلال قادر على الوصول إلى نتائج جديدة فى مجال الرياضيات البحتة ، وإمتلاكه لخصوبة لا حدود لها .

وبالرغم من أن نتائج التأويل قد تبدو نسبية ومؤقته فى حالة فردية معينة ، نتيجة لعدم وضوح الفكرتين اللتين تتم المقارنه بينهما ، إلا أن نتائج المقارنه يمكن أن تؤدى إلى حقائق مطلقة يستحيل نقضها ، كذلك قد يكون فعل المقارنه أو الإستنباط مؤقتاً وعارضاً ، وقد تختلف دوافع الفرد القائم بالمقارنه أو الإستنباط ، ولكن بمجرد إكتشاف « الثالث » أو « التفسير » ، فإنه يعبر عن حقيقة محددة تماماً ، وسبب ذلك أنها تعد حقيقة مشروطة [٢] . كذلك توصف نتائج التأويل ، بالإطلاقية والثبات ، لأنه مهما كان المؤول ، فإن « التأويل » يرشد إلى القيام بعمل فكرى فردى محدد ، وقد يحقق الفعل فى اللحظة التى يتم إنجازه فيها بعض النتائج الفكرية القيمة ، ولما كانت الأفعال لا تنسخ بعد خروجها إلى حيز التنفيذ ، وكان « التأويل » دافعاً للقيام بعمل فكرى ناجح ، فإن التأويل يعد صحيحاً ومطلقاً مثل الفعل الجيد ، الذى إذا ما تحقق لا رجعة ولا نسخ له . وتكمن قيمة المقارنات فى حياة الفرد الباطنية ، فى أنها أفعال تعبر عن بصيرة وحدس يطل من أعلى وينسج وحدة تتجمع فيها الأفكار المتناقضة ، وما كان لهذه الوحدة أن تتحقق إلا بالمقارنة . قد يكون للتأويل دقة الرياضيات ، أو صفة الملاحظة سريعة الزوال ، وقد تتعدد الدوافع إليه ، وقد تختلف موضوعاته ، الإ إنه فى جميع الحالات يمكن حدوث المقارنة والوصول إلى حقائق صحيحة ومطلقة . إن المقارنة تؤدى إلى إتساق الفكر ، وتحقيق بصيرة تنظر من أعلى للأفكار المتضاربة ولغرائب حياة الفرد الماضية وتناقضاتها الداخلية ، وتفسر أفكاراً لأفكار ، كما فسر الأنبياء والشعراء ، ما كان مختلفا وغريباً من الأفكار ، إن خلاص البشرية يعتمد على التأويل وعلى القدرة على المقارنات لتفسير الحياة الفكرية للبشرية [٣] .

---

(١) Ibid ., p. 192.

(٢) J. Royce : The Problem of Christionty p.II p. 195.

(٣) Ibid ., p. 200.

جـ – مجتمع التأويل

ويختلف وضع الفرد المؤول عندما يقوم بتأويل عقل جاره عنه عندما يكون مفسراً لفكرتين من أفكاره بسبب درجة الوضوح ،لانه فى تلك الحالة ، يقوم بتفسير « عقل الجار » من خلال العلاقات و « الرموز » الدالة عليه ، ثم ينقل التفسير إلى عقل ثالث ، وبذلك يتعامل « المؤول » مع عقلين مختلفين فى الأفكار عن أفكاره . فيكون لديه فرق فى وضوح الرؤية بسبب الظروف التى تفصل الافراد . وعندما يشرع الفرد فى تأويل « عقل جاره » فإن تأويله يظل بعيداً عن غايته . لصعوبة تحقيق الرؤية الواضحة للمقارنه ،لأنها تكون فى أفضل حالاتها جزئية وغير يقينيه . والواقع أن الفرد إذا إستطاع تحقيق تأويل ناجح بين « عقول » أو « أفكار لا تنتمى إلى أفكاره وإستطاع رؤية وحدتها مباشرة ، فإنها تتحول وتصبح جزءاً من أفكارُه ، أما تلك الأفكار التى لا يستطيع رؤية وحدتها من أعلى ، فإنها تظل من وجهة نظره غريبة عنه ، ولذا غالباً ما يفسرها بأنها تنتمى لذات فرد آخر ، لذلك معرفة الفرد الجار ، لا يكتسبها « بحدس مباشر » وإنما من خلال التأويل . ولما كان الفرد فى ظل الظروف الإنسانية ، لا يستطيع تحقيق المواجهة المباشرة سواء مع « فكر الجَار » أو مع فكر الفرد الثالث « الموجه » له التأويل . إذ يظهر المؤول والعقل موضوع التفسير والطرف الثالث الموجه له التفسير ، كنفوس ثلاث ، معزولة عن بعضها البعض ، بفجوات لا يمكن عبورها بسبب الظروف الإنسانية والطبيعية ، ومتباينة بسبب إختلاف دوافع أصحابها ، لذلك عندما يسعى فرد ما لتفسير عقل جاره لعقل ثالث ، فإنه يكون ساعياً لتكوين مجتمع من النفوس الثلاث ، وإذا كان مخلصا فى تأويلة ومحبا للحقيقة فإن دافعه للتأويل ، يكون دافعاً روحياً ، يهدف لتخطى تلك الفجوات التى تفصل النفوس الثلاث . وبذلك تكون الغاية من التأويل مرتبطة بمثال أخلاقى ، يتمثل فى تحقيق الفهم المتبادل والوحدة ، وتكوين مجتمع روحى (١) .

---

(١) Ibid ., p. 203.

ويؤكد « رويس » أن هذه الوحدة لا تعد وحدة من النوع الصوفى ، التى تذوب فيها النفوس ويفقد الافراد فيها إستقلالهم ، وإنما تعتبر نوعاً من الرؤية العامة أو البصيرة الكلية ، التى يتمتع بها كل طرف من أطراف التأويل . فعندما ينظر الفرد المؤول لجاره كعالم من الأفكار والمعانى والأهداف ، فإنه لا يشعر بالغربة التامة تجاه هذا العالم ، لأنه قد سبق له الإحتكاك ، بهذا العالم الفكرى عندما فسر ذاته لنفسه . ولما كان الجار عبارة عن عالم من الأفكار ، يقع خارج مجال فكر الفرد ، وليس لدية صورة واضحة عنه ، فإن الفرد لا يقنع بهذا الجهل وبعزلة وغربة الجار ، ويسعى للوحدة معه . وإذا ما إستطاع الفرد تفسير عقل وفكر جاره ، لفرد ثالث ، فإن أفكار الفرد عن جاره ، تكتسب نفس الوضوح الذى يكون لأفكاره الخاصة عن نفسه . وتتحقق لدى الفرد رؤية واضحة لأفكاره ولأفكار الفردين الأخرين . إن هذه الرؤية تشبه الرؤية الشاملة ، أى كمن ينظر من أعلى الى أسفل ، فلا تؤدى الى التداخل وإنما تحافظ على إستقلال كل طرف من أطراف التأويل . ويرى « رويس » أن لما كان لكل طرف من أطراف التأويل الثلاثة ، وإرادة ترغب فى التحقق ، فالقائم بالتفسير يسعى لإشباع رغبته بتفسير عقل الجار ، والجار لديه رغبه فى أن يتم تأويله ، ويرغب الطرف الثالث فى أن يفسر له الجار بواسطة القائم بالتفسير ، فإن القائم بالتأويل إذا ما حقق نجاحاً وإكتسب الرؤية الواضحة ، فإن هذه الرؤية تحق إشباعاً للإرادات الثلاث ويشكل ثلاثتهم مجتمعاً، يسمى « مجتمع التأويل » أو « جماعة التفسير » . إن عند القيام بالتأويل يصبح هناك هدف واحد تجاه « حدث » ما ، توجه له جهود كل المشتركين فى التأويل . ويعمل الكل لتحقيقه . وتبين الخبرة الذاتية للفرد ، إمكانية تحقيق مثل هذا الهدف ، أى أنه لا يكون تصوراً مجرداً أو ادراكاً مباشراً ، وإنما هدف يقبله كل فرد ، على أنه غايته ومراده ، فيستطيع التخطيط له ، ويراه كحدث مستقبلى مشترك . ولما كان كل فرد ، يعتبر تفسيره لجاره ، نوعاً من الإمتداد الذاتى ، فإن فى مقدور الفرد موضوع التفسير

« والمستقبل » للتفسير ، أن يؤول كل منهما نفسه ، وبذلك تتحدد شروط تعريف « مجتمع التأويل ». فهو مجتمع تهدف فيه ، عدة نفوس ، إلى تكوين حدث فكرى مستقبلى مشترك ، يستطيع كل فرد فيه ، أن يبدل ويغير « دوره » فيه ، تبعاً لرغبته ، بدون أن تتغير طبيعة المجتمع ، فيمكن لكل فرد من الأفراد الثلاثه المشتركين فى مجتمع التأويل ، أن يقوم بدور المؤول ، ويظل المجتمع الجديد الناتج من تبديل الأدوار على علاقة بالمجتمع الأول (١) . وأما بالنسبة لمعيار صدق الفكرة التي قد تنتج من التأويل ، فإنه يتمثل فى وضوحها لدى كل طرف من الأطرف الثلاثه ، ولن توصف بالمصداقية لما تحققه من أعمال أو إدراكات حسية ، وإنما بتحقيقها لرغبة وإرادة كل طرف منهم ، وتحقيقها الوحدة الروحية بينهم (٢) .

ويعرض « رويس » للقيمه الأخلاقية والدينية لمجتمع التأويل ، فيرى أن القائم بالتفسير فى أي مجتمع تأويلى ، يحتل المكانه الرئيسية ، لأن به تتحقق الوحدة الفكريةللمجتمع ، ويتحول الطرفان الآخران الى فكرتين من أفكاره ، يقارن بينهما ويكتشف الوسيط . وبذلك يعتبر روح المجتمع والمسيطر على ولكن . كذلك يعتبر فى نفس الوقت خادماً للمجتمع ، لأنه لا يستطيع تحقيق هدفه من التأويل ، إلا اذا حدث نوع من التوحيد الكامل بين أفكاره وأفكار الطرفين الآخرين ، ولا يتم هذا التوحد الفكرى إلا بنوع من الاستلام الذاتى (٣) من جانب القائم بالتأويل . لذلك يعد القائم بالتأويل « رئيساً » « وخادماً » فى آن واحد . ويرى « رويس » أن البشرية لا تحتاج إلا لمجتمعات التأويل لتحقيق الخيرية أو ما تعتبره البشرية مثلاً أعلى للخير لأن هذه المجتمعات تتمتع بوضوح الرؤية والهدف ووجود المحبة . ولما كان التأويل العامل الانسانى فى كل العمليات المعرفية والمحقق لأنقى صور المحبة للمجتمعات ، فإن الولاء لمجتمع التأويل يتدخل فى كل صور الولاء الأخرى ، ولن يستطيع أى فرد محب للإنسانية ، التعبير عن هذه المحبة ، إلا بزياده ونشر إرادة التأويل بين الأفراد، حيث تلهم كل دارس للانسانية ، وتحياحيث كانت المحبة (٤). ولذلك عندما قالت المسيحية بالأمل فى مجتمع محبوب. فإن مثل هذا المجتمع المحبوب ، لن يكون إلا « مجتمع تأويل » . وتعد الصوره المثالية لهذا المجتمع ، أفضل تعبير عن الكنيسة المثالية ، التى يمكن تحقيقها

---

(١) Ibid ., p. 214.
(٢) Ibid ., p. 216.
(٣) Ibid ., p. 218.
(٤) Ibid ., p. 219.

فى العالم الأرضى ، أو فى عالم فكرى فوق إنسانى ، عالم فكرى شامل ، يستمد منه الفرد المعرفة ، ويكون موضوعاً لها فى آن واحد . ويعد مجتمع التأويل أفضل وسيلة للإدراك العقلى الواضح للطبيعة الإلّهية . لأن إذا تم إدراكها فى صوره المفسر ، الذى يفسر الكل للكل ، فيفسر كل فرد للعالم وكل عالم النفوس للفرد ، تحل مشكله الوحدة والكثره فى المجتمع . وتصبح التصورات والحدوس الروحية واضحة ومتميزة فى حياة « المفسر » وخلالها ، يخدم ويرأس الكل ، ويعبر عن إرادته من خلالهم ، ويحب ويحترم إرادة إخوانه ، ويحظى فيه (المجتمع) كل من الفرد والمجتمع والمطلق بالتعبير الكامل والتصالح والتميز. والحقيقة أن فى إرادة التأويل يقترب الإلهى من الإنسانى ، وإذا ما تم فهم التأويل فهماً صحيحاً ، وتصور مجتمع التأويل باعتباره شاملاً لكل أفراد المجتمع وموحداً بينهم بالأمل المشترك فى تحقيق الفهم المتبادل ، ثم نمى الحب لهذا المجتمع ، فإن هذا الحب يكون قادراً ، على توضيح معنى « الكنيسة العالمية » ومجمع القديسين والله « المفسّر » ، وعلى تحقيق الوحدة الفكرية بينهم . وإن كان فهم هذه المثل المسيحية الثلاثة يساعد على وضوح الفكر ، وتحقيق حل لمشكلات ميتافيزيقية، فإن فهم الفرد لها ، يمكن أن يتحقق إذا إستطاع إدراك المعنى الحقيقى لما قصده « بولس » حينما قال « لهذا السبب دع الذى يتحدث بلغات (السنة) يصلى من أجل تفسيرها » ، فتلك الكلمات تحوى كل معانى الفلسفه والدين (١) .

بعد هذا العرض لمعنى التأويل وإرادته ومجتمع التأويل ، من الواضح أن « رويس » ، سعى للتأكيد على قيمة الفكر . واذا كان « ديكارت » يقول « أفكر فأنا موجود » فإن « رويس » يقول « أنا أؤول أو أفسر فأنا موجود » . فيعرف الأفراد أنفسهم وطبيعة وجودهم ووجود مجتمعاتهم وعالمهم من التأويل . وبالرغم من أن التأويل عملية معرفية إجتماعية ، الا أن الفرد يستطيع تفسير حياته الباطنية ، ويصل الى الوحدة الكامنة وراء افكاره ، فتحقق الوحدة الشعورية (٢) ، وبذلك يصبح التأويل سلوكاً فردياً واجتماعياً فى آن واحد . ولتوضيح أهميه وقيمة التأويل ، بدأ رويس بضرب عدة أمثله واقعية لهذا النمط

---

(١) Ibid ., p, 221.

(٢) J.Royce : The Problem of Christianity p.II pp.130-150.

المعرفى ، وبذلك إنتقل من الفكر إلى الواقع ، ثم إنتقل من الفكر الى الفكر بأمثله من قضايا العلم والفن والأدب ، وأخيراً ضرب أمثلة من قضايا الإيمان عند النبى « عاموس » والقديس « بولس » وبذلك ينتقل من الفكر الى العقيدة . وبذلك تصبح العقيدة أو الدين خاتمه المطاف والدليل والأمثلة التى ليس بعدها شىء . وربما قصد « رويس » من تعدد الأمثلة توضيح قيمة التأويل وإعتباره عمل الفلسفة الأساسى ، وإعتمد فى توضيح هذه القيمة على المقارنة بين التأويل كعملية معرفية ، وعمليتا الإدراك والتصور ، وأعتبر أن التأويل يتميز باكتشاف الفكـــرة الثالثة ولكن السؤال الذى يفرض نفسه ، إذا كان التأويل يقوم على المقارنة وإكتشاف الثالث ، فما هى الفكرة الثالثه ، التى نتجت من المقارنة بين التأويل ذاته وكل من الإدراك أو التصور . إن « رويس » لم يوضح هذه الفكرة الوسيطة بالرغم من قيامه بالمقارنه بين التأويل كعملية معرفية والعمليات المعرفية الأخرى ، وربما طبقاً لوجة نظـــره أنه يمكن معرفة هذا الوسط بصورة مـــا ، ولكنه قد يزال غير واضح ، ويظل العارف منتظراً لفرد آخر ، يمكـــن أن يقوم بتفسير هـــــذا الوسط ، فمتى يظهر هذا المفسر ؟؟! .

والواقع أن التأويل يشبه الجدل الهيجلى إلى حد كبير ، وإذا لم يكن فى خطواته فإنه يحيا روحه . وبالرغم من تأكيد « رويس » على وجود فرق بين التأويل عند « شارلز بيرس » والجدل عند « هيجل » على أساس أن « بيرس » فى قوله بالثالث الذى يقوم بالتفسير والوساطة ، لم يعتمد على « هيجل » ، ولم يتأثر عند كتابة التأويل « بهيجل » ، وأن أمثله هيجل التوضيحية كانت تاريخية وأخلاقية ، بينما أمثله « بيرس » مستقاه من الرياضيات والحالات الإجتماعية ، بـــل ونظريـــة « شارلزبيرس » بأصـــلها التجريبى ، تبشر بحـــل مسائل كثيرة تركها هيجل بدون حل (١) . إلا أن « رويس » لم يوضح هذه المسائل ، ولم يعرض لفـروق جوهرية بين التأويل والجدل ، أسوة بما فعل بمقارنة التأويل بالإدراك والتصور . كذلك إذا كان التأويل عملية مستمرة ، فإن هذه الخاصية تجعله أقرب إلى الجدل الهيجلى . وبالرغم من محاولة رويس توضيح الفرق بين تأويل « بيرس » وجدل « هيجل »، إلا أن العلاقة الثلاثية والإستمرارية وإثراء المعرفة ، سواء باكتشاف المركب عـــند « هيجـــل »

(١) J. Royce : The Problem of Christianity p.II pp. 187-190.

أو الثالث الوسط عند « بيرس » يجعلهما فى خندق واحد ، وتجعل التشابه أقـرب مـن الإختلاف ، وإن كان التأويل أوســع وأشمل من الجدل .

والحقيقة اذا كان « رويس » يعتبر مجتمع التأويل أفضل تعبير عن الكنيسة المثالية فمن الواضح أن إعتبار الله مفسر ، يحقق تشابهاً بين الطبيعتين الآلهيه والإنسانية ، ونوعاً من الإتصال المباشر بين الله والفرد ، فيختفى دور الكنيسة بمعناها التقليدى بإعتبارها وسيطاً بين البشر والله ، فإن كان مجتمع التأويل ، يقدم تصوراً مثالياً لفكرة الكنيسة ، بإعتبارها المجتمع المحبوب ، إلا أنه يقضى عليها باعتبارها مؤسسة وسيطة لها طقوسها وتقاليدها . وتختفى الكنيسـة التاريخية بمـعناها التقليدى ، ويحل مكانها مجتمعات التأويل ، بخصائصها ودوافعها الإنسانية . ولما كن التأويل هو العامل الإنسانى والأساسى فى المعرفة بكل ألوانها ، ولا يعتمد الانسان على إدراكات من الخارج أو تصورات تفرض عليه ، فهو القادر على تحقيق المعرفة والخلاص ، فلا ضرورة لوجود الكنيسة التقليدية ، وإذا كان تصور دور الكنيسة ضرورياً للعقيدة المسيحية ، فإن وجودها لا بد أن يكون على صورة مجتمع للتأويل . وكذلك إذا كان مجتمع التأويل يحقق خلاص الفرد ، فإن المشكلة المتعلقة بطبيعته المسيح تختفى ، ويصبح المسيح فـرداً فى مجتمع التأويل وتحـل مشكلة طبيعة الآلهية . وإذا كان مجتمع التأويل يقوم حلا لمشكلة الوحدة والكثرة ، والمؤول روح المجتمع ، ويحقق الوحدة الفكرية بين أفراده ، فـإن مجتمع التأويل ، يعد أفضل تعبيرعن فكرة ومعتقد « الروح القدس » وبذلك يصبح التأويل محاولة لتعقيل العقائد المسيحية وحل مشكلاتها .

ثالثا : التأويل النظرية والتطبيق

إذا كانت الكنيسة مجتمعاً مثاليا ، تعبر فيه الروح عن نفسها ، فلن يمكن فهم وادراك معنى ذلك إلا فى ضوء نظرية مثالية عن « العالم الواقعى » ، وأثبات إن الكون كله « مجتمع وكائن إلهى » ، حتى يمكن أن تنشر الروح فيه . وإذا كان قد وضحت قيمة المحبة فى

تحقيق وحدة الحاضر ، وتـم معرفة أن هذه المحبة للمجتمع ، لا بد وأن تكون محبة من أعلى ، أى محبة للكون كله (١) ، فإن الحـب يحتاج إلى إثبات أن للكون طبيعة الهية وإجتماعية ، وأن للعالم ذاته نفس طبيعة المجتمع . ولذلك يرى « رويس » أن هناك حاجة لنظرية ميتافيزيقية لمعنى العالم الواقعى . ولما كانت المعرفة تتحقق بالتأويل ، ومن خلال مجتمعات التأويل ، فإن الإعتقاد بوجود العالم ، لا ينفصل عن الإعتقاد بوجود مجتمعات التأويل بل ويفترض وجودها وجوداً مسبقاً .

أ – العالم مجتمع تأويل

إن وجود مجتمعات التأويل ، يعد دليلاً على الصفة الإجتماعية لمعرفة وجود العالم الطبيعى ، ففى مجال العلم ، لا يكتسب أى كشف علمى صفة العملية ، إلا إذا حصل على موافقة أعضاء المجتمع العلمى (٢) . وتعبر مقولة الفهم العام القائلة ، « بعدم وجوب حكم الفرد على حالته الخاصة عن الصفة الإجتماعية للمعرفة ». فلا يحق للقاضى الحكم فى قضية يكون طرفاً فيها ، وغالبا ما يؤثر قرار شخصى لفرد ما فى حالته الخاصة ، على مصير أمة بأكملها . لذلك لا بد من تكوين مجتمعات التأويل . ولئن كان المجتمع يسمح للفرد فى بعض الحالات بإتخاذ قرارات خاصة (القائد مثلاً) ، فإن غالبا ما يكون التدريب الإجتماعى قد أعد الفرد لأن يقوم بعمل مجتمع التأويل . والحقيقة أن إتفاق العلماء والفهم العام على أهمية رأى الأخرين ، والاعتقاد بوجود مجتمعات التأويل ، يرتبط بالنظرة للعالم الطبيعى . فالفهم العام ينظر للعالم الطبيعى كموضوع لخبرة مشتركة بين الأفراد . وعندما يعتقد فردان فى وجود موضوع طبيعى ، « كالقارب » مثلا ، فإن مصدر الإعتقاد فى وجوده يعتبر تأويلاً أو تفسيراً . تفسير يوجهه كل منهما للآخر ، وفكرة وسيطة بين فكرتين ، أو نظرة شاملة ، إكتسبها كل منهما بالمقارنة . لذلك فالإعتقاد فى وجود القارب ، جاء نتيجة عملية معرفية ذات ثلاثة أطراف . فيكون هناك « القارب » الذى يراه الفرد ويلمسه ، ويظهر

---

(١) J.Royce : The Problem of Christianity p.II pp.220-230.

(١) Ibid ., p. 233.

له محققاً لأفكاره ، ويكون هناك فى نفس الوقت القارب المشترك ، موضوع التأويل والذى ينظر إليه الفرد ، كموضوع لخبرته ولخبرة الآخر . ويرى « رويس » أن إذا ما تكون الإعتقاد فى وجود « القارب المشترك » ، والذى يستطيع أى فرد منهما ، التحقق من وجوده بخبرته الفردية ، فإنهما يشكلان مجتمع تأويل عندما يتحدثان عنه ، وإذا ما نجح هذا المجتمع فى بلوغ هدفه ، فأنهما يثقان فى أن القارب له وجود واقعى وحقيقى ، وبالرغم من أن كلا منهما ، يستطيع التحقق من فكرته الخاصة عن القارب ، ولا يستطيع التحقق من أفكار الفرد الآخر عنه ، إلا أن كلا منهما ، باعتباره « مفسراً » ، سواء لنفسه أو للآخر ، يعتقد بأن لهاتين الخبرتين الفرديتين موضوعاً مشتركاً (١) .

كذلك إذا أعلن أحد العلماء ، عن إكتشافه لواقعة طبيعية ، فإنه لا يكون معبراًعن نتائج خبرته الشخصية ، بل يكون « مؤولاً » ، لأن إكتشافه ، لا يحتل مكانه فى العلم الطبيعى ، إلا إذا حظى بموافقة مجتمع العلمـاء ، الـذى يتكون من العالم « المكتشف » ، « وإكتشافه » ، « والناقد » الذى يحكم عليه (٢) . ويكون وجوده فرضاً مسبقاً ، لأى بحث علمى فى وقائع العالم الطبيعى . وأما بالنسبة لموقف الفلاسفة ، وعدم تكوينهم لمجتمع تأويل شبيه بالمجتمع العلمى ، لكثره الخلافات بينهم ، فالحقيقة أن الفيلسوف « مؤول » ، والتأويل عمل الفلسفة . وبالرغم من قول بعض الفلاسفة ، بالتصورات فقط ، أو بالإدراكات فقط ، كأساس لمعرفة الواقع ، إلا أن هؤلاء الفلاسفة ، يقومون بعمل المفسرين . ولم يكن جهدهم قاصراً على مجرد إدراك العالم أو نسج نظرية فى « التصورات » . وإنما محاولة لتفسير معنى الحضارة التى ينتمون إليها ، ففسروا كل ما فى الكون ، وكل ما إعتقدوا فى وجوده ، سواء كان إنسانيا أو إلهيا . إن فكر الفيلسوف فكر تأويلى ، يخاطب عقلاً ما ، ويفسّر الآخر ، ويسعى إلى وحدة تماثل ، تلك التى يسعى إليها المجتمع التأويلى . ويرى « رويس » أن الواقع لا يمكن التعبير عنه فى صورة إدراك أو تصور ، ولا يمكن تفسير طبيعة الواقع فى ضوء الأعمال المترتبة على فكرة واحدة ، لأن كل تفسير للواقع فـى ضوء الفكرة الواحدة ، يفترض نوعاً من التباين بين فكرتين ، أو بين الكائن والممكـن أو بين الواقع

---

(١) Ibid ., p. 243.

(٢) Ibid ., p. 249.

والمثال (١) . لذلك إن وجود مجتمعات التأويل ، وجود واقعى سواء فى العلاقات الإجتماعية أو فى علاقة الأفراد بموضوعات العالم الخارجى ، وتفرض الأبحاث العلمية وجودها ، ووجود إرادة التأويل . وأى محادثه بين فردين ، أو حوار داخلى فى الوعى الذاتى ، يتم باعتقاد مسبق كامن تحت الشعور ، بأن الإنسان عضو فى « مجتمع التأويل » . ويرى رويس أنه إذا كانت « المحادثة » والبحث العلمى والفلسفى ، عبارة عن محاولات جادة ونابعة من حب للحقيقة والمعرفة ، فإن الصورة العامة لأى مجتمع منها ، تشبه صورة الكنيسة البولسية ، لأن هناك العضو الذى يحض على الفضيلة ، والفرد المستقبل ، وروح المجتمع ، الذى يقوم بالتأويل . والحقيقة أن السؤال عن كيف تتم معرفة وجود أى مجتمع تأويل ، وعن الضمان فى صحة الإعتقاد بوجود واقعية مجتمع الكنيسة ، يؤدى إلى الأنتقال إلي قلب الميتافيزيقاً ، ومعرفةالمقصود بالوجود الواقعى (٢) .

ويوكد « رويس » أن الإعتقاد بوجود أى عالم واقعى على الإطلاق ، ينشأ من وجود موقف يحتاج إلى التفسير ، والمقصود بالعالم الواقعى تفسير وحل لهذا الموقف وإشكاليته . وبناء على ذلك إن من يدرس « مشكلة الواقع» ، يقارن على الأقل بين فكرتين أساسيتين ، فكرة الخبرة الحاضرة ، وفكرة الغاية أو الهدف منها ، فمشكلة الوجود الحقة تتمثل فى الموقف المحير بين فكرتين رئيسيتين ، وطالما يقارن الفرد بين ما هو كائن ، وما ينبغى أن يكون ، فإن ما يعنية بالعالم الواقعى ، يكون عبارة عن تأويل وتفسير لهذا التناقض أو عبارة عن حل لهذا الموقف . وأيا كانت طبيعة العالم الواقعى ، فلا من التعبير عنها فى ضوء هذا التعارض بين الأفكار . فعند دراسة الواقع تقف الفكرتان المتعارضتان وجهاً لوجه ، ومهما تعددت مظاهر التناقض ، فإن المشكلة العامة التى تمثلها تلك التناقضات ، تشكل مشكلة العالم ، ويكون السؤال عن معنى العالم الواقعى ، سؤلاً عن التناقض ومعناه ، فمشكلة التناقض هى مشكله العالم . ولا يمكن لأى فكرة من الفكرتين المتناقضتين ، أن تفسر نفسها أو تحل مشكلتها وحدها، لأنها تحتاج إلى وسيط ، يفسر كل منهما إلى الأخرى (٣) . ولقد ظهرت مشكلة الوجود » فى الميتافيزيقا ، فى صورة التباين بين المظهر والحقيقة ،

(١) Ibid ., p. 265.
(١) Ibid ., p. 267.
(١) Ibid ., p. 269.

وكانت تعتبر التناقضات هي الظاهر ، وظـهر التساؤل عن العالم الواقعى عند الإحتكاك بهذه التناقضات ، وعندما يسأل فرد ما عن ماهو العالم الواقعى الحقيقى ، فإنه يسأل عن حل لتلك التناقضات ، وعن تفسير لها . لذلك أى تعريف للعالم الواقعى ، لا بد وأن يقدم حلاً لتلك التناقضات ولمشكلة الفكرتين المتعارضتين . فإذا كان العالم الواقعى هو ما يمكن التعبير عنه بفكرة وسيطة تقارن وتوضح التناقض بين فكرتين متعارضتين ، عندما ينظر لها متحدة معهما ، وكان أى تفسير ، لا يتم إلا إذا كان « المجتمع » المناسب قائما وواقعيا ، ولا يتصف بالصدق ، إلا إذا حقق هذا المجتمع التأويلى غايته ، فإن العالم الواقعى « مجتمع التأويل » ، الذي يتكون من فكرتين متناقضتين وفكرة وسيطة ، أو « المفسر » وإذا فسر التأويل كل الوجود ، فإن المجتمع يصل الى غايته ، ولن يوجد عالم واقعى ، إلا إذا كان « المفسر » و « المجتمع » واقعين ، وإذا لم يوجدا ، لن يكون هناك أى عالم واقعى على الإطلاق (١) . ولما كانت « عملية التأويل » تتضمن سلسلة لا نهائية من أفعال التفسير ، وتعترف بتنوع وإختلاف النفوس ، التى تفسر بعضها البعض بالتبادل ، ويكون العضو الرئيسى روح المجتمع ، فإن الكون كله مجتمع تأويل ، وتوحد حياته كل الإختلافات الإجتماعيه ، وكل المجتمعات الإنسانية ، وتدرسه العلوم الاجتماعية والتاريخية ، ويصبح تاريخ الكون تاريخ هذا المجتمع التأويلى كله (٢) . وما العالم الواقعى إلا مجتمع تأويل .

ب – مشكلات الفلسفة والحياة

وبذلك يؤكد « رويس » أن الإعتقاد فى وجود العالم الطبيعى ، لا يمكن أن ينفصل عن الإعتقاد فى وجود وحقيقة مجتمع التأويل . وإذا كان المذهب المسيحى فى الحياة ، مرتبطا بالمثل الأعلى للمجتمع العالمى ، والعالم فى ذاته وكليته مجتمع ، فلا بد من توضيح العلاقة بين المثل الأعلى للمجتمع ، ونظرية العالم تأويل ، أو بين « النظرية الميتافيزيقية » « والتجربة الدينية » ، ولن يتم توضيح هذه العلاقة إلا بالمقارنة بينهما . ويرى «رويس » أن من الضرورى ، قبل إجراء المقارنة ، لا بد من توضيح بعض تطبيقات نظرية « العالم مجتمع »

---

(١) Ibid ., p. 270.

(٢) Ibid ., p. 271.

على بعض مشكلات الفلسفة والحياة ، وإلا أصبحت النظرية عقيمة ، ومجرد تجريد لا قيمة له . ولأن إذا صحت النظرية ، يكون العالم كله محكوماً بمقولات إجتماعية ، ويصبح المجتمع المحور الرئيسى ، لأى فلسفة تشرح تكوين العالم . ويستعين « رويس » « بنظرية العلامة » عند « شارلزبيرس » لشرح وتوضح ذلك على إعتبار أن العلامة موضوع يحتاج للتأويل . وتعبير عن « عقل » ما وفكر ما ، فمن الناحية المنطقية ، يشكل التأويل علامة جديدة تحتاج بدورها للتأويل ، ويتمثل وجود « العلامة » فى حقيقة أنها تتطلب تأويلاً ، وبالتالى يمكن القول بأن الكون كله يتكون من علامات وتفسيرات لها (١) . فإذا ما تم تطبيق النظرية على مشكلة الزمان مثلاً ، فإن أحداث الزمان ، تصبح عبارة عن « علامات » وطالما تحيا النفوس الفردية بتفسير الأحداث ، فإن أفعال التفسير يتم التعبير عنها فى النسق الزمنى « بعلامات » جديدة ، وبذلك يتكون تاريخ الكون من تتابع العلامات وتفسيراتها ، وطالما كانت أى فكرة بين فكرتين متناقضتين ، عبارة عن « علامة » تجد فى العالم تفسيرها الحقيقى ، فإن النظرية الميتافيزيقية ، يمكن تسميتها « بنظرية فى العلامات » . ويمكن القول « بأن وجود العالم يتكون من عملية تفسير العالم » ، أو أن عملية تفسير العالم تشكل وجوده . ولما كان العالم لا يفسر كله فى أى لحظة زمنية واحدة بل بسلسلة لا نهائية من أفعال التفسير ، فإن هذه السلسلة من الأعمال التفسيرية تشكل النسق الزمنى للعالم ، لأن ماهية « الفعل التفسيرى » تكمن فى أنه جهد لتفسير حياة ماضية لحياة مستقبلية وفى تحقيقه للوحدة بالتوسط بين نقيضين ، بل واذا تم النظر للنسق الزمنى فى كليته ، فإنه يشكل فى حد ذاته ، « علاقة مركبة » ، لا محدودة ، تكون موضوعاً لخبرة ذات نظرة شاملة لكل النسق الزمنى (٢) . والحقيقة أن من يعتمد على المدركات أو التصورات لا يكون لديه أى فكرة عن ماضى أو مستقبل ، ولذا تمد نظرية العالم تأويل ، الواقع بالفروض المسبقة التي يتم إستخدامها فى التعامل مع الماضى والمستقبل ، فالذكريات علامات « للماضى » ، « والآمال » علامات للمستقبل ، ويتصف الماضى والمستقبل بالواقعية ، إذا تحقق لهذه العلامات تأويل حقيقى (٣) .

---

(١) Ibid ., p. 283.

(٢) Ibid ., p. 290.

(٣) Ibid ., p. 286.

أما بالنسبة لقيمة « النظرية » وعلاقتها بمذهب « الإرادة المطلقة » أو لتحقيق الإنتقال من النظر إلى العمل،يرى « رويس » أنه لا بد من توضيح نمط السلوك الإرادى والعملى تجاه الكون ، وعن القرار والخطة الحياتية لمن يشرع فى رؤية العالم فى ضوء النظرية ، ولا بد من التساؤل فى نفس الوقت عن نوع الخلاص ، الذى يتحقق لمن يؤمن بأن « العالم مجتمع ».فلئن كان البراجماتى فى نظر وليم جيمس شخصاً عمليا ، فإن المؤمن بالتأويل يقوم بجهد إيجابى ، لأن كل تناقض عبارة عن علامة تتطلب التأويل ، وطالما يؤمن بأن العالم يحوى مفسّره أو مؤوله ، فإنه يساهم فى حركة العالم أو مسرحية العالم ، وأما بالنسبة لنمط السلوك الإرادى للمؤمـــن بالنظرية ، يوضح « رويس » بأن هناك ثلاثة أنماط للسلوك الإرادى ، الأول سلوك يهدف إلى الحياة ، ويجعل الفرد يعامل الأخرين بوصفهم موضعاً لإرادته ، والثانى سلوك يهدف إلى إنكار إرادةالحياة ، ويعتبر إنكار الذات وسيلة للحياة ، وأما النمط الثالث ، فإنه سلوك لا يهدف إلى إثبات أو إنكار إرادة الحياة ويقترب من سلوك الولاء الذى إعتبره « بولس » أنسب أنماط السلوك الإرادى المحقق للخلاص ، فلا يكو إثباتاً أو إنكاراً لإرادة الحياة ، وإنمـا سلـوك إيجابي مـن الذات لقضيتها (١) . وبصرف النظر عن الجوانب الدينية لهذا النمط ، إلا أنـه يفترض وجوداً واقعياً لعالم روحى ولمجتمع عالمى إلّهى . فالحقيقة أن عندما يفكر أى كائن عاقل ، فى معنى تعامله مع الحياة والعالم ، فإنه يكتشف مبدأ عمليا وفرضاً نظريا مسبقاً ، بأنه لا يمكن من الناحية العملية أن ينج وحده ، ولا يمكن من الناحية النظرية أن يعرف حقيقة خبرته ، بدون الإعتماد على علاقته بالأُخرين أو بمجتمع للمعرفة ، وبأن هذا المجتمع واقعى وحقيقى ، وبأن لا معنى لحياته إلا إذا كان عضواً فى مجتمع ما ولا معنى لنجاحه ، إلا بنجاح المجتمع الذي ينتمى إليه أساساً من خلال علاقته بالكون كله . وبأن لا قيمة لأفعاله إلا إذا إتصفت بالخلود وعدم الإلغاء ، فيكون لكل فعل ، وجود مستمر حتى نهاية الزمان . إن هذا المبدأ يعد عمليا ونظرياً فى آن واحد ، ولا يعتمد على النجاح اللحظى لأى فكرة فردية ، وإذا لم يكن صادقاً فى ذاته ، لن يكون هناك حياة أو عالم واقعى يتحقق فيه النجاح (٢) .

---

(١) Ibid ., p. 286.

(٢) Ibid ., p. 313.

وأما بالنسبة للمشكلة الفلسفية الخاصة بوجود عقل الجار ، فإن رويس يرى أن المسلمة التى تجعل الفرد يعترف بوجود العالم ، هى التى يعتمد عليها فى الإعتراف بوجود الجار ، وأنها السبب فى ذلك السلوك الإجتماعي للإرادة ، والقائم على مبدأ « أنه لا قيمة لوجوده إلا بوجود الآخرين » . والحقيقة أن الفرد يسلم بوجود عقل الجار ، لأنه أولا يثير لديه مجموعة من الأفكار ، عندما يتعامل معه أو يخاطبه ، وثانيا يعرف أنها ليست أفكاره الخاصة ، بسبب أختلافها عن أفكاره ، وثالثا يفشل عندما يحاول تفسيرها ، باعتبارها جزءاً من أفكاره ، ولذا يقوم بوضع إفتراض ، بأن هذه الأفكار التى إستقبلها لها تفسيرها ومفسرها ، وأنه لا بد أن يكون « عقلاً » أو ذاتاً ، ولا يمكن أن يكون عقله ذاته مصدراً لهذه الأفكار التى إستقبلها ، لذلك يعتبر وجود « الجار » المفسر الواقعى والحقيقى لتلك الأفكار ، التى ظهرت لدية من الأفعال التى إستقبلها منه إن السبب للتسليم بوجود عقل الجار ، أن الأفكار التى تولدت لدى الفرد ، كانت نتيجة لحركات وأفعال الجار ، وليست من أفكاره الخاصة ، وبسبب تمسكه بفرض أساسى للوعى الإجتماعى ، وهوأن كل الأفكار المتباينة لها تفسيرها الحقيقى ومفسرها .

ج – مشكلات المسيحية

وبعد أن وضح « رويس » إمكانية تطبيق النظرية الميتافيزيقية للعالم على مشكلات الحياة إتجه رويس لتوضيح صلتها بمشكلات المسيحية ، ومناقشة الحلول التى يمكن أن تقدمها لتلك المشكلات ولكن طالما أن الفلسفة تأويل للدين ، فمن الممكن إهمال بعض ما جاء فى « الإنجيل » ، كذلك لن تشكل مسألة تاريخ الكنيسة المسيحية الأولى مشكلة ، ويكفى الإعتماد على الصورة التى يرسمها « بولس » للكنيسة فى رسائله ، وعلى مجموع الأقوال والأمثال التى نسبها الأوائل « للمؤسس ». وأما مسألة « حياة المسيح » ذاتها فيتم تركها لمن لديهم المستندات الكافية ، كذلك لا يمكن إعتبار « بولس » المؤسس الحقيقى للمسيحية وإنما المجتمع الذى دخل فيه « بولس » هو المؤسس الحقيقى لها (١) . ويرى رويس أنه لكى

---

(١) Ibid ., p. 350.

يتم التحقق من صدق الأفكار أو المشكلات التى تشكل أساس المسيحية ، لا بد من المقارنة بين المسيحية الأصل و المسيحية التاريخية ، ولتحقيق تلك المقارنه ، لنفرض أنه كان هناك فيلسوف يونانى ، سمع عن رسائل بولس ، ودخل حياة المجتمع المسيحى . وبينما كان ينتظر الإنتقال أو التحول الأخير ، وعودة « إنسان السماء » سقط فى النوم ، وإستيقظ فى القرن العشرين ولنفرض أنه لم يسمح له بمعرفة أحوال الدين المسيحى ومشاكله ، إلا بعد معرفة كاملة لعلوم العصر الحاضر ، وعندما يصبح الفيلسوف ملماً بنتائج العلوم والفنون الحديثة ، ومحتفظاً فى نفس الوقت بذاكرته الفلسفية اليونانية الرومانية وبمسيحية الكنائس البولسية ، يتم السماح له بمعرفة تاريخ المسيحية ، حتى العصر الحاضر . سيلاحظ الفيلسوف الزائر وجود إختلاف بين مسيحية « بولس » وما تعلمه بعد إستيقاظه ، وأن هناك تعارضاً واضحاً بين نتائج العلم والمسيحية التاريخية من جهة ، وروح المسيحية القديمة من جهة أخرى . فآمال القديسين لم تتحقق ، ولم تأت النهاية ، ولم يعد السيد ، وأمانى الكنيسة القديمة عن قرب الخلاص ، كانت وهماً،وكلمات « بولس »، ما هى إلا نبؤات أدبية تاريخية زائفة أو خاطئة . فاذا أراد هذا « الفيلسوف الزائر » أن يظل مسيحيا ، فلا بد أن يبدأ عمله القديم ، ويميز بين الرمز والحقيقة ، وبين الواقع والصور المجازية ، وبين الأمثال والتأويل ، ويعرف أن الكنيسة قد دافعت عن الإيمان بنهاية العالم إما بعدم السماح فى الخوض فى هذه المسائل ، أو باستخدام الصور المجازية (١) .

وأما بالنسبة لأقوال « بولس » عن شخص وعمل المسيح والصلب والموت والبعث وظهور « السيد » مرة أخرى ، وأنه لا حياة ولا نجاه بدون المسيحية ، فلا بد من تأويلها ، لأن عالم « بولس » الذى وضح فيه هذه الصورة للخلاص ، خاصة مسألة عودةالسيد ، لم يعد قائما ، وإذا كان لا بد من فهم كلماته عن « الملائكة » والشياطين والسر ، لا بد من إعتبارها مجرد رموز أو « علامات » ، وأنها فى حاجة إلى التأويل . والواقع أن المذهب الرئيسى عن شخص المسيح فى مسيحية بولس ، لا ينفصل عن الإعتقاد فى الروح الإلّهية الحية والكائنة فى الكنيسة . وإذا كان مذهب « بولس » عن شخص المسيح أساسيا للإيمان

(١) Ibid ., p. 355.

فى مسيحية « بولس » ، فإن هذا المذهب فى جوهرة ، مذهب لطبيعة الكنيسة وحياتها (١) . وذلك لأن « بولس » كان قد فسر حياة المسيح الإلّهى المرفوع بأنها حياة الكنيسة ذاتها ، فاكسب ظهوره على الأرض معنى الفداء من خلال قدرته على العمل ، كمؤسس للمجتمع المحبوب (٢) . لذلك يرى « رويس » بأنه إذا كان هناك معنى للإيمان القديم فلا بد من النظر إلى أفكار « بولس » على أنها مجرد أمثال أو رموز أو ظلال روحية ولا بد من التميز بين مطالب الحس ومطالب الروح ، وبين الظلال والحقيقة . فاذا إستطاع الفيلسوف الزائر للقرن العشرين ، إعتبار أقوال « بولس » عبارة عن رموز لحقيقه أعمق وتمسك بمذهب « بولس » عن حضور الروح الإلّهية المخلصة فى الكنيسة الحية ، فإنه يظل مسيحياً ، مهما أؤول مسألة شخص المسيح . لأن الشرط الوحيد الذي يجعل الفرد مرتبطا بالروح العميقة للمسيحية فى كل عصورها ، هو أن يكون قادراً على القول بأن الروح الالهية الخلصة للانسان تحيا فى الكنيسة (٣) . ولن يكون قادراً علىٰ هذا القول ، إلا إذا نظر لأى رواية عن شخص المسيح على إنها رمز أو أسطورة أو خيال . وإذا ما عرف المسيح كما عرفه « بولس » باعتباره روحاً ، فإنه يتعامل مع حقيقة واقعية ، طالما أن الروح الإلّهية تحيا وتسكن فى الكنيسة .

وليس المقصود بالكنيسة الكنائس الرسمية التى دفنت نفسها فى التراث أو إعتبار الكنيسة مجرد حادث عرضى فى المسيحية وتبنى الدعوة بأن شخص المسيح يمثل جوهر المسيحية . وإنما إذا كان الإيمان الصادق ، يتمثل فى أن الروح الألهية المقيمة فى الكنيسة الحية تخلص البشرية ، فإن الكنيسة المسيحية الحقة ، هى التى تحقق بالفعل وحدة البشرية ، وتوحدهم بالروح الإلّهية ، وطالما أن خلاص الإنسانية ، يتمثل فى الأخوة والولاء للمجتمع المحبوب ، فإن الكنيسه تعد مجموع كل الأفراد . وطالما كانت قوة الكنيسة الأولى ، مربطة بالأعتقاد الراسخ بأن العالم على وشك النهاية ، وأصبحت بهذا الإعتقاد واثقة بأن من خلال قدره الله ، سيشهد أفرادها المخلصين ، الذين يعيشون حياتهم فى الروح ، خلاص كل البشرية ، فإن الكنيسة الحقة على الأرض ، يمثلها أى جماعة من الناس

---

(١) Ibid ., p. 385.
(٢) Ibid ., p. 360.
(٣) Ibid ., p. 367.

تكون مخلصة طبقا لمعتقداتها ، لقضية وحدة كل أفراد الجنس البشرى (١) . إن أى جماعة أو تنظيم رسمى،لا يمكن إعتباره مكونا للكنيسة الحقة،إلا إذا كان أفراده مؤمنين « بالمجتمع المحبوب » ، وبوحدة البشرية ، وبالسعى لإيجاد هذا المجتمع وتلك الوحدة . وإذا كانت الحضارة الحديثة ، التى تعد نتاجاً للروح التى أظهرت نفسها فى الكنيسة البولسية ، قد فشلت فى تكوين المجتمع المحبوب أو مملكة السماء على الأرض ، فذلك بسبب بعدها عن الروح الحقة لتلك الكنيسة ، إن المسيحية الحقه تتمثل فى أى جماعة مؤمنة ، تنشر المحبة البولسية ، وتنادى بأخوة كل أفراد البشرية ، وتعتبر الكنيسة العالمية ، الكنيسة الحقه والوحيدة .

ويؤكد « رويس » أن النظرية الميتافيزيقية العالم تأويل قادرة على تقديم تفسير لعبارة بولس القائلة « بأن الروح الإلهية التى تسكن الكنيسة ، تحقق نجاه وخلاص البشرية » . فإذا كان العالم نتاجاً لعملية الفكر ، فإن التعاقب الزمنى لأحداثه ، يكن محكوماً ، بدوافع لا محدودة ، تفسر الماضى للمستقبل ، وتعبر عن نفسها فى تطور ، تحق فيه الحل لكل مشكلة ، والحسم لكل تناقض ، والتفكير لكل مأساة . وبذلك يحوى العالم نظاماً زمنياً ، وغاية يسعى إليها ، وتطوراً حقيقياً ، ويكون له مثل أعلى ، يحاول الوصول إليه بتتابع أحداثه ، ولكنه يفشل فى تحقيقه فى أى لحظة من لحظات الزمن . وينتج عن ذلك أن السعى نحو الهدف والتفسير الجديد الذى يتطلبه كل حدث جديد من أحداثه ، والتعاقب اللانهائى لأفعال التأويل ويشكل بناء العالم . وأن الفصل المأساوى بين العالم وغايته ، والقيد الملزم لكل مخلوقاته بالسعى نحو غاية لا يصل إليها فى أى لحظة زمنية ، يصبح مشكلة العالم . وبذلك يكون هذا العالم عالم « بولس » ، لا يستطيع تحقيق غايته على الأرض ، ومازال يئن من الألم ، ويحتاج إلى « مخلص » يأمل فى وجوده . فلقد أمنت الكنيسة المسيحية ، بأن العالم ، من خلال عظمة الروح ، قد وجد أخيراً محرره ، وأنها قد تجلت وتسكن الأن مجتمع المؤمنين .

---

(١) Ibid ., p. 370.

وأما بالنسبة لحديث « بولس » عن خلاص العالم ، فبالرغم من أنه يقترب من الصور الرمزية الأخلاقية ، إلا أنه قد إعتمد على حقيقتين ، عبر عنهما فى هذه الصور الرمزية ، ويمكن التعبير عنهما وتفسيرها فى ضوء النظرية الميتافيزيقية للمجتمع . والحقيقة الأولى أن خلاص العالم يحدث من خلال الصراع مع الشر وبذلك تصبح أفعال المحبة والتكفير ، أفعالاً للتوفيق والتصالح ، التى تفسر الماضى للحاضر ، لتجعل العالم يظهر كنسق روحى . والحقيقة الثانية أن هذه الأفعال لا يمكن أن توجد إلا فى مجتمع (١) . والحقيقة إذا كان خلاص العالم ككل ، والوعى بأنه فى مجموعه عبارة عن تحقق لحظة إلّهية ، وبأن أحداثه قد توافقت ، وتم تفسيرها كلها ، أمر لا يكتمل فى أى لحظة من لحظات الزمان ، فإن فى عالم التأويل أيضا ، لا تتحقق وحدة الروح والشعو بالتوافق والإنتصار على موت العالم ، فى أى لحظة زمنية ، وإنما يتحقق من خلال نظرة شاملة لمعنى وغاية كل ما يحدث فى الزمان (٢) . ويرى « رويس » أن نظرية العالم مجتمع ، وأن الحياة الإجتماعية للكون التى تكشف عن الإلهى تعبر فى صيغة ميتافيزيقا المجتمع ، عن ما يكون قد تشكل لدى أى فرد من خلال حدس إيمانى دينى .

وبعد هذا العرض للتأويل وأهميتة ومكوناته ، وإهتمام « رويس » بتطبيق نظريه « العالم تأويل » ، على مشكلات المسيحية بعد ثبات نجاحها فى تفسير مشكلات الحياة والفلسفة ، فمن الواضح أن رويس يؤمن تماما بأن التأويل أداة معرفية صالحة لفهم كل أمور الحياة والعقيدة . والواقع أن تفسير المعرفة بأنها عملية تأويل (٣) . مسألة لا تجعل العقل مجرد مخزن للإدراكات والتصورات ، ولا تصبح وظيفة العقل ، مجرد تكوين تصورات جاءت من مدركات أو بحث عن « مدركات » لما لدية من تصورات . كذلك لا تكون نظرية المعرفة مجرد بحث عن أصل المعرفة وكيف تكونت كما فعل التجريبيون ، أو بحث عن نتائجها كما رأى البراجماتيون . إن المعرفة هى عملية توظيف الماضى من أجل المستقبل وترجمة وتفسير لأفكار الماضى من أجل توجيه الفعل فى المستقبل . فالمعرفة مجتمع حى ، أو مجتمع تفسير ، أما بين الذات ونفسها أو بينها وبين الأخرين . وتصبح الفكرة خطة

---

(١) Ibid ., p. 377.

(٢) Ibid ., p. 379.

(٣) Ibid ., pp. 150-156.

للعمل . وبناء على هذا التصور لنظرية المعرفة ، لن تكون هناك معارف ثابتة أو أبدية أو هناك نصوص وتفسيرات ثابتة ، فكل ما ينتمى للتراث لا بد وأن يوظف لخدمة المستقبل ، ولا تصبح هناك قيمة لفكر قديم ، إلا إذا تحوّل إلى فعل يمكن القيام به فى المستقبل ، فالمعرفة حياة وروح نشطة . ولكن يلاحظ أن « رويس » عند توضيح قيمه « الفكرة الوسيطة » فى عملية التأويل أكد اتفاقه مع « شارلزبيرس » فى إعتبار الفكرة الوسيطة ، أداة لتوضيح الأفكار ، ولا تعنى مجرد تحويل التصورات إلى أفكار أو العكس كما قال « وليم جيمس » (١) وإنما تعد إكتشافاً جديداً . والحقيقة أن وصف الفكرة بأنها « أداة » لتوضيح الأفكار ، لا يعنى نقل الفكرة من مجال الفكر إلى الواقع أو تحويلها إلى فعل يترتب عليها ، فقد يكون للفكرة دورها فى تنمية الفكر ، وإكتشاف الوحدة الفكرية ، إلا إنها تظل حبيسة الفكر ولا مجال لنقلها إلى الواقع . وإذا كانت الفكرة كما يقول « رويس » مرشده للعقول الرائدة فى العالم (٢) . فإنها ليست مرشدة للأفعال التى يتم بها تغير العالم ، فقد يتم الفهم ويتم التفسير أو التأويل ، ولكن لا يتم ولا يحدث تغير ، حتى وإن كان « رويس » لا يفصل بين الفكر والسلوك .

وبالرغم من أن التأويل وسيلة لتوضيح ، وإكتشاف العلاقات الكامنة وراء الأفكار المتناقضة والمختلفة ، وتؤدى الفكرة الثالثة إلى توضيح الأفكار الآخرى ، وتعد إكتشافاًجديداً يثرى الحياة العقلية ، إلا أن التأويل يُبقي ولا يحذف ، فيؤكد ويوضح ولكنه لا يلغى ولا يتخلص من الزوائد من الأفكار ، فالتأويل مقارنة بين فكرتين ، ويسعى للوصول إلى معرفة فكرة ثالثة ، أو وسيطة يشرح فى ضوئها الفكرتين ، فإذا تمت معرفة هذه الفكرة ، تكتمل المقارنة ، وأما إذا ظلت غامضة ، فإن الفرد قد يحتاج إلى فرد آخر يوضحها له ، وإذا لم يتوفر هذا الفرد تظل المقارنة غير مكتملة (٣) . فيسعى التأويل فى جميع الحالات للتوفيق أو الإبقاء على جميع الأفكار كما هى . ولكن كم من الأفكار الإنسانية ، تكون صحيحة وصادقة في ذاتها وتتم المقارنة بينها ؟ فلا يعد التأويل وسيلة لتنقية الأفكار ، أو تطهير العقل من الأخطاء أو المعتقدات الخاطئة ، أو الأفكار التى لا معنى لها ، أو التى ليس لها وجود واقعى

(١) J.Royce : The Problem of Christianity p.II p. 182.

(٢) Ibid ., p. 188.

(٣) Ibid . pp. 160-170.

لهـــا ، فإذا كانت المعـــرفة المؤسسة علـــى « الإدراك » ، تحـــذف ما لا يأتى من الحسى ، « والتصور » لا يبقى إلا على ما له أسسه العقلية والمنطقية ، فإن التأويل ليس لديه معيار على صدق الأفكار إلا معيار « تحقيق الوحدة » .فإذا كان التأويل يتم داخل الحياة العقلية للفرد ويعتمد على الإتفاق وقبول التأويل،إذا كان موجهاً للآخرين ، أى المعيار هنا موافقة الآخرين . فلا يقدم « التأويل » فى جميع الحالات أى وسيلة ذاتية ، تبين أو توضح صحيح الأفكار من زائفها ، وكم من الأفكار ، قد آمن بها الفرد ، وقبلها الآخرون ، وظهر بطلانها ؟ وكم من مشكلات الفلسفة قد ظهرت بسبب محاولة المقارنة بين فكرتين أو التأويل بينها . فجاء منهج « التحليل » ، وحذف كليهما أو بين عدم تمايزهما أو إختلافهما . والحقيقة إذا كان « التأويل » يبنى ويوفق المتناقضات ، فإن « التحليل » يغوص فى أعمالها وجذورها ، وكم من أفكار فقدت جذورها بالتحليل ، فإن كان للتأويل أن ينجح فلابد أن يسبقه التحليل

كذلك إذا كانت إذا كانت غاية « التأويل » إكتشاف الوحدة الكامنة بين المتناقضات ، فأنه لا يكتشف « المتناقضات ذاتها ».فالفكرة الثالثة وسيط يفسر فكرتين متعارضتين ، ولكنه لا يفسر التناقض ذاته ، فالتأويل يجمع ولا يفرق ، يربط ولا يفصل ، ينظر للمعرفة نظرة كمية ، فتزداد المعارف الإنسانية بمعرفة الوسائط ، ويكسب الفرد النظرة الشاملة التى تختفى فيها المتناقضات . والحقيقة أنه إذا كان إكتشاف « الثالث » نوعاً من الإبداع ، فإن إكتشاف « التناقض » والتميز » بين الأفكار يعد فى حد ذاته إبداعاً . لذلك لابد من وجود خطوة سابقة على التأويل ، تتمثل فى إكتشاف التناقضات والتمييز بين الأفكار ، وبذلك تكون هناك حاجة ، لتطبيق المنهج « الديكارتى » ، وإعتبار أن الوضوح والتميز شرط ضرورى للفكر ، قبل تطبيق المنهج التأويلى ، كذلك لابد من تطبيق المنهج التحليلى للتميز بين الأفكار والتخلص من الزائد منها ، قبل التأويل وإجراء المقارنات ، وإلا يصبح التأويل مجرد منهج تبريرى ، لا ينظر لقيمة الفكرة أو صلابتها أو صلاحيتها ، وإنما يتقبلها كما هي ، ويبحث عن ثالث يساعد على توضيحها أو تفسيرها ، كذلك إذا أمكن وصول الفرد إلى الفكرة الثالثة سواء بجهدة الشخصى أو بمساعدة الأخرين ومعيار صدق هذه الفكرة الثالثة

يتمثل فى توضيحها للفكرتين موضوعا المقارنة ، وتحقيق الرؤية الفكرية الواضحة أو قبول الآخرين لها ، فإنه لا يصبح هناك معيار موضوعى واقعى ، لقياس صحة التأويل ، إلا مجرد تحقيق الفهم المتبادل إما بين الأفكار الباطنية للفرد أو بينه وبين الآخرين فيغيب الواقعى فى مقابل الروحى ، وتصبح غاية المعرفه تحقيق الوحدة الذاتيه والوحدة الإجتماعية . وكأن مجرد تحقيق الفهم المتبادل والإتفاق بين الأفراد ، كفيل بتحقيق المعرفة الكاملة بالواقع ، وإذا ما قبل الأفتراض بأن التأويل يؤدى إلى فهم للواقع ، فهل يؤدى إلى تغيره ؟ والحقيقة أن ثراء المعرفة أصبح يتوقف على تعدد المناهج ، ولا يتحقق هذا الثراء بتطبيق منهج واحد فى الفلسفة والعلم والفن والحياة والدين . وإذا كانت المقارنة محور التأويل فإلى أى حد يمكن أن تجعل الإنسان يتوصل إلى معرفة أن الماء مثلاً يتكون من أكسچين وهيدروچين ؟ وما هى الفكرة الوسيطة التى يتم بها تفسير الماء العذب من المالح مثلاً ؟ فلقد قرر « رويس » أن التأويل يصلح لجميع الموضوعات ، حتى الموضوعات المادية ، والحقيقة أنه إذا كان إكتشاف الثالث يصلح لبعض موضوعات الفكر ، فإن التأويل لا يصلح لكل موضوعات المعرفة ويعد خطوة للوراء ، بعد أن « أصبح » « موضوع » المعرفة ، يختار ويفرض المنهج الذى يناسبه .

اذا كان « هيجل » فى فلسفته الدينية يطالب بالقضاء على الفصل بين الدين والفلسفة ، برؤيه الوحى فى الواقع والوصول إلى المثل الدينية بالعقل (١) فأن « رويس » يقترب من فلسفة هيجل الدينية فى دعوته لقيام مجتمع التأويل . أن دعوة رويس لقيام مجتمعات التأويل يؤدى إلى الدعوه إلى القضاء على الفصل بين الدين والفلسفة ويطالب برؤيه الوحى فى الواقع والوصول إلى المثل الدينية الأمر الذى يشبه ، الموقف الهيجلى فى فلسفة الدين . فهناك حقيقة واحدة ، وهى التى يتم إكتسابها بالتأويل ، فلايعد الإدراك أو التصور ، أو الواقع أو الوحى ، مصدراً لمعارف الإنسان ، وليس هناك عقائد ثابتة جامدة ، يمتنع الإقتراب منها بدعوى أنها أمور روحية تتعلق بالوحى. وليس هناك مثل عقلية ، تستحيل أمام الفكر بدعوى عجز العقل عن أدراكها ، وليس هناك إنحياز تجاه العقل على

(١) د. حسن حنفى – قضايا معاصره فى الفكر الغربى "محاضرات فى فلسفه الدين عند هيجل ص ١٧١

حساب العقيدة كما يرى « فلاسفة التنوير » ، أو رفض قاطع للنص الديني ، كما كان موقف « إسبينوزا » ولا تعد الوحدة أساس للوجود كما يرى « اسبينوزا » [1] . أو الإتجاه إلى الكثرة والتعدد كما يرى « وليم جيمس » وإنما هناك حقيقة واحدة ، لا تكون دينية أو فلسفية ، وعالم يجمع بين الوحدة والكثرة ، يتحقق بمجتمع التأويل .

إذا تم تصور «العالم مجتمعاً » للتأويل والله « مفسره » ، وتحقق تأويل الفرد لله ، والله للفرد ، من منطق تأويل الكل للكل [2] ، فلن تصبح العلاقة بين الله والإنسان علاقة « عبد بسيد » أو علاقة رأسية ، أعلى بأدنى ، أو حاكم بمحكوم أو رئيس بعبده ، وما تحمله تلك العلاقة من الكل لله ولا شئ للإنسان ، أو القوة الجبارة فى جانب والضعف والقهر فى الجانب الآخر . أو علم شامل وعلم منقوص . أو تميز كامل للطبيعة الآلهية على حساب الطبيعة الإنسانية ، إن تصور الله « مؤول » يحقق نوعاً من العلاقات المتساوية أو يمثل صورة « للندية » ، فتبادل الأدوار يكسب الله بعض صفات الطبيعة الإنسانية ، ويكسب الإنسان بعض صفات الطبيعة الإلهية كالنظرة الشاملة ويجعل كل من الله والإنسان مشتركين فى طبيعة فكرية واحدة ، وتقل الفروق بين الإنسانى والإلهى ..وإذا كانت إرادة التأويل تنبع من المحبة فالله محب للفرد وجاره ، والإنسان محب للجار ولله ، فتصبح « المحبة » واقعاً حقيقياً للوحدة بين الإنسان والله فى عالم التأويل .

والحقيقة أن إعتبار الله مؤولاً للعالم وللإفراد ، مسألة تؤدى إلى الحيرة فى فهم صفات الله عند « رويس » ، أو الموقف من حيث السلبية والإيجابية بالنسبة لله ، أو التذبذب فى إعطاء الله دور إيجابى أم دور سلبى ، ففى عرض « رويس » للمطلق فى نظرية المعرفة ، وصفة بأنه « الفكر الشامل » ووجوده ضرورى لوجود الخطأ ، وفي الأخلاق وصفه بأنه القاضى الأعلى ، ولكنه لا يوقع الجزاء بقدر ما يوفر وجوده السلوى والعزاء ، وفى شرح « رويس » لمجتمع التأويل أعتبر الله « مفسراً » أو مؤولاً ، وإذا كان الله مؤولاً للعالم والإفراد فإنه يقوم بدور إيجابى ، ولا يكون معزولاً عن الأفراد ، تبعاً لطبيعة مجتمع التأويل ، أو يكون

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٧٩

(٢) J.Royce : The Problem of Christianity ,p.II. pp 210-220.

كياناً قائماً بذاته مستقلاً عنهم ، وإنما يحيا بهم ومن خلالهم ويحقق الوحدة الفكرية بينهم ، بمجتمع التأويل ، ولذلك من الواضح أن « رويس » يعطى لله دوراً إيجابياً ، بعد أن كان دورة فى الفلسفة أو فى الميتافيزيقياً سلبياً . وأن كان من الممكن الإعتراض على ذلك بإن « رويس » قد وصف المطلق بأنه « الإرادة الكلية » ، فالواقع أن الإرادة الكلية هنا ، تعنى إرادة المجموع أى مجموع الإرادات ، وليست إرادة كلية بمعنى « المنفذ » القادر على كل شئ وإنما إرادة تعنى مجموع إرادات الافراد ، أو التى تصب أو تحوى إرادات الأفراد ، حقيقة أن الإرادات الفردية لا تكـّونها أو تشكلها وإنمـا تعبـر عنها ، ولكن لا وجود مستقلاً لها بذاتها .

والحقيقة أن عرض « رويس » للنظرية العالم « مجتمع تأويل » بالتوضيح من خلال ضرب الأمثله والتطبيقات العملية للنظرية ، تبين أنه لا معنى للنظرية أو لفكر ميتافيزيقى ، إلا إذا تحول إلى سلوك ، فالسلوك يعد المحك الأساسى ، لأى فكر سواء كان دينياً أو مثالياً أو ميتافيزيقيا . لذلك تم تحليل الثـلاث أفـكار الرئيسـية للعقيدة المسيحية أو ترجمتها إلى سلوك فى الحيـاة ، أو إلـى المذهـب المسيحى فى الحياة [1] . كـذلك تم توضيـح النظرية الميتافيزيقية « العالم مجتمع » ، بأمثلة وأنماط من السلوك توضح قيمتها فى الحياة ، لأن من لا يترجم ما يؤمن به من أفكار إلى سلوك ، يصبح فكره عقيماً مجرداً ، ويقع فى الإزدواج بين الفكر والعمل [2] . لذلك يعد السلوك الإرادى المحل النهائى لأى فكر دينى أو ميتافيزيقى فلسفى ، فإذا أمكن تحقيق التوافق بين الدين والفلسفة ، أو بين العقيدة والفكر المثالى ، فإن « الإرادة » تصبح المعبر الوحيد بينهما ، الممثل لوحدتهما ، فإذا كانت النظرية الميتافيزيقية تنتمى إلى عالم ، يختلف عن عالم الفكر الدينى ، فالأول يقوم على المنطق والثانى يقوم على الإيمان ، فإنهما عالمان مختلفان ، أو فكران متباينان وتصبح الإرادة هى الفكرة الثالثة أو الوسيطة بينهما، فتحقق وحدة الرؤية فتظهر كتعبير عنهما ، وإذا كانت الإرادة تعبر عن نفسها فى الحياة فإن الحياة تصبح الترجمة العملية لكلا التيارين من الفكر أو العالمين ، ويصبح « رويس » من أنصار الإرادية المطلقة . والحقيقة أن

---

(١) J.Royce : The Problem of Christianty p. II. Lecture VII.

(٢) Ibid ., pp. 275-283.

« التأويل » كان واضحاً فى معالجة « رويس » لموضوع « السلوك الإرادى » المترتب على النظرية الميتافيزيقية ، فجاء السلوك الثالث للإرادة وسطاً بين نهجين متعارضين لها . الأول يؤكد إرادة الحياة والثانى يؤكد على رفضها ، إذ جاد وسطاً بين تضحية الفرد بالجماعة وبين إنكار الفردية أو الذات والتأكيد على الغيرية ، فالفرد يحيا فى « المجتمع » ويشارك فيه لإنه يحقق له الخلاص ، ومنهج الإرداة الإمثل ، يتمثل فى السلوك المخلص تجاه التأويل ، سلوك فرد يؤمن بأن لا قيمة له ، إلا فى مجتمع تأويل يشارك فيه ، ويتحقق من خلاله خلاصة ، وبه يكسب قيمته فلا يكون سلوك الإرادة ، سلوك من لا يؤمن بإرداة الحياة أو من ينكرها ، وإنما سلوك من يرى حياته فى المجتمع ، ويحافظ فى نفس الوقت على ذاته وتفرده ، بإعتباره مشاركاً فى التأويل .

ويظهر ربط قيمة الفكرة بغايتها ، فلا قيمة لمجتمع التأويل إلا إذا حقق الغاية من وجوده (١) . ولا قيمة للنظرية الميتافيزيقية ، إلا إذا ترجمت إلى سلوك ، ويوضح ذلك الربط التأثر بالفكر البراجماتى فى الحكم على الفكرة حسب نتائجها العملية ودلالتها فى الواقع، وبذلك قد يظهر نوع من التناقض فى موقف « رويس » من البراجماتية ، إذ من الواضح رفض وجهة نظرها فى بعض المواقف ، خاصة مواقف « وليم جيمس » فى ربط الفكرة بالنجاح أو العمل ، أو فى تفسيره للإعتراف بوجود « عقل للجار » بالإستدلال التمثيلى (٢) . وربما يمكن تفسير هذا التناقض فى موقفه من البراجماتية ، خاصة « وليم جيمس » بسببين ، الأول نظره رويس التأليفية للفلسفة ، وإعتماده على التأويل ، ويجعل الفلسفة أقرب إلى التأليف بين الأفكار المتناقضة ، ويسمح بإنتقاء الأفكار بغض النظر عن الإطار التى تنتمى إليه ، أما السبب الثانى ، ربما بسبب إعتبار آراء « وليم جيمس »، أقرب إلى الفكر المثالى ، بالرغم من عدائه للمذهب المثالى ، إذ يري « رويس » أن كل فلسفة تأويل ، والمثالية تكمن فى جذور كل فلسفة .

---

(١) Ibid ., pp. 203-215.

(٢) Ibid ., p. 313-317.

والحقيقة أن النظرية الميتافيزيقية « العالم مجتمع تأويل بالرغم من تطبيقاتها العملية ، تحول العالم إلى مجموعة رموز وعلامات ، وبذلك تصبح نظرية تبريرية تختفى فيها المتناقضات ويصبح كل ما ففى العالم ذا معنى ، إذا وجد « المجتمع المفسر له » ، وتحقق مثل هذه النظرية الوجود الواقعي للكائنات ، سواء كانت كائنات مادية أو روحيـــة ، طالمـــا وجد « المفسر » المناسب أؤ المجتمع المناسب للتفسير ، فكل ما يقرر الفكر وجوده ، يوصف بالواقعية ، وبذلك تعد النظرية عودة للفكر الأفلاطونى ، بل لقد جاء منهج « رويس » فى صياغة هذه النظرية أقرب لمنهج « أفلاطون » فى صياغة نظرية المثل ، فكما تأثر إفلاطون من خلال نقده للفلسفات السابقة ، فجاءت نظرية المثل ، تأليفاً مركباً من فكر فيثاغورث وفكر « بارميندس » « وهيراقليطس » و « سقراط » [1] فإن النظرية الميتافيزيقية لعالم التأويل قد جاءت تأليفاً من فكـــر « شارلز بيرس » ، « وليم جيمس » و « برجسون » و « هيجل » و « شوبنهور » وطالما أن عمل الفلسفة التأويل ، فلقد ساهم كل فيلسوف بدوره وأمكن من خلال المقارنات تأليف هذه النظرية ، وكما قدمت « نظرية المثل » عند أفلاطون حلاً وتبريراً لمشكلات الفكر ، وأنتشرت فى مجالات الفكر كله ، فإن نظرية « العالم تأويل » تقدم نظرة جديدة ، أو حلولاً لمشكلات المعرفة والوجود ، وشرحًا وتبريراً للفكر الدينى المسيحى . وإذا كان المثال عند « افلاطون » محور الفكر والوجود ، فإن « المجتمع » فى النظرية الميتافيزيقية عند رويس ، يشكل أساساً للمعرفة ، وضروره لقيام العالم الواقعى . وإذا كان عالم الحسى عند أفلاطون عالم الظاهر والظن ، وبالفكر والتأمل يصل الإنسان إلى « المثال » ، والعالم الحق الذى تختفى فيه التناقضات ، فالعـالم والكون وكل مـا فيه من ، « علامات » « وتناقضات » يصل الإنسان إلى فهمها بالتأويل ، أو يكتشف الوجود الحق ، أو الثالث الذى يقدم حلاً للمتناقضات . بل لقد جاءت فكـرة « الوسط » عند رويس أقرب لفكرة « العدالة » عن أفلاطون [2] . ولئن كان « للفيلسوف » دور متميز عند أفلاطون فى القدرة على معرفة عالم المثل [3] ، فإن الفلاسفة عند « رويس » لا يشكلون مجتمعات للتأويل ، لأن الفلسفة ذاتها تأويل .

---

(١) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية جـ ١ ترجمه د. زكى نجيب محمود ، لجنه التأليف والترجمه والنشر ، القاهرة سنه ١٩٦٧ ص ١٧٧

(٢) المرجع السابق ص ١٨٠

(٣) Plato : The Republic , p.260

كما تظهر ملامح الفكر الأفلاطوني فى الصورة الخيالية للفيلسوف اليوناني اللاتينى المتحول إلى المسيحية ونام وإستيقظ فى العصر الحاضر أو فى القرن العاشرين ، والتساؤل عن ماذا يفعل ليظل مسيحياً ، بعد أن تذكر معتقدات « بولس » وقارنها بعلوم العصر الحاضر . فالصورة الخيالية تشابه أسطورة الكهف عند أفلاطون [1] . والمعتقدات « البولسية » عالم المثل ، وظروف العصر الحاضر عالم الصور ومن أراد فهما لجوهر المسيحية ، وحلاً لمشكلاتها ، فما عليه إلا الإيمان بوجود عالم روحى ، ويتأمل المعتقدات ويقوم بتأويلها ، فيحقق « الجدل الصاعد » ويعود ممسكاً بإعتقاد واحد راسخ بإن الروح الآلهى المخلصة للبشرية تسكن الكنيسة أو المجتمع ، فيحقق « الجدل الهابط » ، وكأن مسيحى العصر الحاضر أو القرن العشرين كان يحيا فى عالم المثل (عالم المجتمع المسيحى الأول) وما عليه إلا أن يتخلص من مسيحية العصر الحاضر والمسيحية التاريخية ، ويعود إلى مسيحية الأصل أو جوهر مسيحية الكنائس « البولسية » ، فيعودوا لفكره حلول الروح الآلهى فى الكنيسة ويفسر فى ضوئها كل تجمع انسانى تجمعه وحدة الهدف ، ويعيد بناء المجتمع المسيحى ، أو أى مجتمع كان فى ضوء هذه الفكرة . فعالم الحاضر عالم الكهف بظلاله ، وعالم مجتمع الكنيسة البولسية عالم المثل .

وتعد الفكرة الميتافيزيقية للمجتمع ، حدسا فلسفياً تمتد جذوره فى فلسفة « رويس » ، أو تعتبر من الأفكار المركزية فى فلسفته ، فبدون مجتمعات التأويل ، لا تاريخ لعالم واقعى على الإطلاق ولا وجود للآخر أو لأفراد ، بل والذات الإنسانية نفسها ، ما هى إلا مجتمع تأويل . وإذا تم الإنتقال إلى الدين المسيحى ، تصبح فكرة المجتمع المثالى أو العالمى الفكرة المحورية فى العقيدة ، وتشكل أساساً لكل أفكار المسيحية الرئيسية . وكل خلاص يرغب الفرد فيه ، وكل معرفة يسعى لإكتسابها ، وكل وجود لكائنات روحية يؤمن بها الفرد ، لا يتحقق إلا من خلال المجتمع . وإذا كانت الفلسفة الدينية عبارة عن نظرية فى المعرفة والسعادة ، فإن المجتمع يعد محورا لهذه النظرية ، فلا معرفة أو سعاده يمكن للفرد إكتسابها ، إلا من مجتمع ينتمى إليه ، وإذا كان هناك حقيقة واقعية واحدة أساسية ،

(١) Ibid ., p. 278.

وتفسركل شئ فى مجال الوجود والمعرفة والأخلاق ، فلن تتمثل تلك الحقيقة إلا فى المجتمع والعلاقات الإجتماعية . وإذا كانت فكرة « المجتمع » تشكل حدساً رئيسياً ، فإن معالجة مسألة الوحدة والكثرة ، تعد إمتداداً لذلك الحدس الفلسفى عند « رويس » ، ويقترب « رويس » من « ليبنتز » فى محاولة التوفيق بين الوحدة والكثرة ومن « برادلى » فى ربط أجزاء الكون بعضها البعض . فإذا كان فريق يجعل الوجود الحقيقى واحداً والتعدد وهماً . وفريق يرى الكون فى كثرته البادية وإن الرباط والوحدة وهم ، فإن « رويس » يقدم حلاً لتلك المسألة من خلال النظرية الميتافيزيقية العالم « مجتمع تأويل » .

ويظهر الإتجاه الدينى المسيحى واضحاً فى منهج عرض « رويس » للنظرية الميتافيزيقية وتطبيقاتها فى الإتجاه إلى الإنتقال من العقل إلى العقيدة . فكل نتيجة يتم التوصل إليها وبراهين عقلية بحته ، تجد ما يماثلها ، أو نموذجاً تطبيقياً لها فى مجال الدين ، أو فى سلوك قام به أحد الأنبياء . أو القديسين ، فالسلوك المخلص للإرادة تجاه المجتمع ، والمتمثل فى سلوك الولاء ، يظهر فى تفسير « بولس » للمحبة [١] . وفساد الرأى القائم بأن الآخرين إمتداد لذات الفرد واستدلاله لوجودهم ، من « التمثيل » ، يتفق مع رأى « بولس » بأن الأرادة الجمعية تعارض الإرادة الذاتية . والنموذج الأمثل لسلوك الإرادة ، النابع من الأخلاص للمجتمع ، يظهر فى سلوك القديس « بولس » فى دعوته ، وتضحيته من أجل قضية يؤمن بها [٢] . كذلك يظهر فى عرض « رويس » للنظرية الميتافيزيقية ، فى إطارها الفلسفى النظرى ، خلط متعمد إلى حد ما ، بين « المصطلحات » الفلسفية أو تلك التى يجرى إستخدامها فى العبارات الفلسفية ، وبين « المصطلحات » أو الكلمات الى يتميز بها النسق الدينى المسيحى ، وذلك على أفتراض أن لكل دين لغته . فتستخدم وتكثر الإشاره إلى كلمة « الجار » بدلاً من كلة « الآخر » و « الخلاص » بدلاً من الإستقرار « أو السعادة » « وروح المجتمع » بدلاً من المؤول ، « والضياع » بدلاً من الانحراف والعزلة . وبذلك يظهر نوع من الايحاء الخفى ، بأن الفلسفة ماهى إلا تعبيراً عن فكر دينى مسيحى ، أو أن العقل والوحى أو الفلسفة والدين المسيحى ماهما إلا طرفين لخيط واحد .

---

(١) J.Royce : The Problem of Christianity p. II pp.320-324

(٢) Ibid ., pp. 310-113.

إذا كان التأويل عمل الفيلسوف ، والفلسفة تأويل ، والتأويل مقارنه ، فإن عمل الفلسفة ، يقتصر على إجراء المقارنات بين الأفكار المتناقضة ، والتأليف بينهما باكتشاف الأفكار الوسيطة ، التى توضح تلك الأفكار ، لبعضها البعض ، أو تفسر كلا منهما فى ضوء الأخرى ، وتصبح الفلسفة بحثا عن الأفكار الوسيطة ، التى قد تحسم النزاع أو تفض الخلافات ، وإذا كان السلوك الأمثل للإرادة ، يكمن فى الولاء « للمجتمع فإن الفيلسوف ، يتمثل دورة فى حل المتناقضات الإجتماعية . والواقع إذا كان « التأويل » مقارنة ، أو تأليفاً وبحثاً عن الفكرة الثالثة ، إلا أنه لا يعد موجهاً ومهتماً بتلك الأفكار التى تجرى المقارنة بينهما ، لأن إذا كان « الثالث » يوضح فكرة فى ضوء فكرة آخرى ، فإنه لايوضح قيمة الفكرة ذاتها ومدى صلاحيتها أو صلابتها . لذلك هناك حاجة للتحليل قبل التأويل . وإذا كان « رويس » قد قال بالأنتباه والأنتقاء للفكرة ، إلا أن الأنتباه لا يعد تحليلاً ، والواقع أن قصر مهمة الفسفة على التحليل فـقط كما يقول « برتراندرســل » [(١)] . أو التأويل فقط مثلما يقرر « رويـس » ، أمر يجعل المنهج الفلسـفى ، مـنهجاً قاصــراً ، فـإذا كـانت الوضعيه « المنطقية » ، تجعل الفلسفة تحليلاً ، « ورويس » يجعل الفلسفة تأويلاً ، فإن أنسب المواقف يتمثل فى موقف « ديكارت » ، فى كتابة قواعد المنهج ، حيث جاء التحليل خطوة سابقة للتركيب أو التأليف . وإذا أمكن إعتبار التأويل نوعاً من أنواع التحليل ، من حيث توضيح الأفكار ، إذ يوضح التأويل فكرة فى ضوء الأخرى ، بإكتشاف الثالث ، وإذا لم يتم إكتشاف هذا الوسيط تظل الأفكار غامضة ، أى فهم التأويل بمعنى التوضيح ، الذى قد يعد أحد أهداف المنهج التحليلى ، إلا أن عدم وصول « التأويل » إلى هدفه ، لا يؤدى الى الغاء أى فكرة من الفكرتين المتعارضتين ، بينما يؤدى « التحليل » إلى التخلص من الأفكار التى لا تصمد أمامه ، فالتحليل يقلل من الأفـكار[(٢)] . والتأويل يـزيد منها بإكتشاف الثالـث ، التحـليل يبحث عن الجذور ، والتأويل يؤلف بين الفروع ، وإذا كان التحليل إتجاها لأسـفل ، فالتـأويل إتجاه لأعلى ، وإذا كان « التحليل » قد يطهر العقل من المعتقدات الخاطئة ، فالتأويل يوضحها فى المقارنات . لذلك تحتاج الفلسفة لكلاً المنهجين ، منهج يهدم وأخر يبنى

---

(١) B. russell : My philosophical Development, George Allen, London , 1959 p.11.
(٢) B. russell : The Problems of Philosophy, Oxford, London, 1929, p.153.

فلا هدم من أجل الهدم ، ولابناء على أرض رخوة . إن دور الفيلسوف لا يقتصر على التفسير وحل المتناقضات ، بل إظهارها ، فلا يكون موفقاً ، بقدر ما يكون ثائراً ، أن عمل الفيلسوف الرئيسى الثورة على المتناقضات وإقتلاعها ، وليس بحثا عن الحلول الوسط أو التبرير . والحقيقة أن إعتبار الفيلسوف مؤول ، يجعله أقرب إلى المرشد الروحى للبشرية . ويحيل « الفلسفة » كلها إلى فلسفة أخلاقية ، تصبح مهمتها المقارنة بين ماهو كائن ومابنبغى أن يكـون ، وتوضيح وجود عالم أرقى من العالم الإنسانى ، ووعى أعمق من الوعى الإنسانى ، وبذلك تدعو إلى نظرة جمالية ، تنوب فيها الفروق بين الأفراد ، فيـغيب الواقع والحاضر إما فى عالم مثالى أو فى نظرة جمالية ، فتصبح الفلسفة ديناً ، والفلاسفة أقرب للأنبياء ، والتأمل وسيله للخلاص .

إذا كان مبدأ عدم التناقض من مبادئ الفكر الأساسية ، ويكمن دور الفكر فى تحقيق التصالح بين الأفكار والحالات المتناقضة ، فإن وجود التناقض يعد مبدأ مسبقاً وكأن التنـــاقض أســـاس الوجود . فالنظـــرية الميتافيزيقية للعـــالم عـند « رويـــس » تقوم على « التـــناقض » ، ولما كان العالم تأويلاً ، فلاً وجود واقعى له ، الإ كحل وتفسير للمتناقضات ، سواء فى أمور الحياة ، أو الوقائع ، أو الأفكار . كما يظهر التناقض فى معرفة وجود الآخرين كعقول مستقلة ، وتناقض الأفكار والبحث عن الفكرة الثالثة . يحقق الوعى بوحدة الذات . والتناقض بين الماضى والمستقبل ، يوجد الحاضر كوسيط بينهما وتناقضات الكون فى حاجة إلى « مفسر » ، يفسرها ويحويها ، وبذلك يتحقق وجود الله . ويصبح وجود التناقض ، أمراً ضرورياً لوجود الذات والآخر والعالم والله . فإذا كان « الفكر » تأويلاً ، فالتناقض ضرورى لتحقيق هذا الفكر . ولذلك يعد وجود التناقض فكرة رئيسية فى « فلسفة » « رويس » ، فإذا لم يكن هناك تناقض ، فلا فكر فلسفى أو دينى يمكن أن يظهر ، ولا وجود لفرد أو عالم إو إله . والواقع أنه يمكن تفسير تأكيد « رويس » علـى وجـود التناقض ، بسببين الأول فلسفى والثانى دينى . السبب الأول ، أنه يمكن رده إلى تأثر « رويس » بالفلسفة الهيجلية ، والتى كان يعد أحد روادها ، وظل متمسكاً بها فترة طويلة . ويبدو أنه

بالرغم من إعلانه الإستقلال عن « هيجل » [1] . لم يستطع التخلص تماماً من التأثير الهيجلى ، أو ربما قصد من تصريحة ، أنه يعنى الأستقلال عن « هيجل » فى النتائج الفلسفية التى قد يكون قد توصل إليها ، ولا يعنى الإستقلال بمعنى التخلص من روح المنهج الهيجلى . وأما السبب الثانى فى إثبات « التناقض بوصفه أساساً قائماً فى الوجود ، فربما يكون بدافع تبريرى للعقيدة المسيحية ، فالتناقضات فى العقيدة المسيحية مثل إثبات الوحدانية لله والقول بالتثليث فى نفس الوقت ، والطبيعتين المتناقضتين للمسيح ، والخطيئة الأولى والتكفير إلى آخر المفارقات التى يتصف بها الفكر المسيحى ، وتشكل مشكلة فى اللاهوت المسيحى ، والتى قد أشار إليها « كيركجارد » بالمفارقة ، فإذا أراد الإنسان إيماناً مسيحياً عليه أن يتقبلها . فإذا كان التناقض أساسياً فى الوجود وفى عالم الفكر وعالم الدين ، ولا وجود للعالم والإنسان والله إلا من خلال التناقض ، فالتناقض كائن ، ولا تعد « المسيحيّة » ديناً ناقصاً ، أو أنه لا يتفق مع العقل بسبب وجود التناقضات والمفارقات ، فالمفارقة والتناقض أساس وجود كل شئ ، والحل لتلك التناقضات ، يكون فى مجتمع ، والكنيسة خير ممثل لهذا المجتمع .

من جهة آخرى يلاحظ أن إهمال « رويس » دراسة الوقائع التاريخية للمسيحية ، والإتجاه لدراسة المجتمع الإيمانى والأفكار التى جاءت منه ، تجعل الدراسة مجرد تأويل وتفسير لفكر ، وكأن الأفكار المسيحية سواء الأقوال أو الأمثال التى نسبت للسيد أو جاءت فى رسائل بولس ، عبارة عن « علامات » تحتاج إلى تأويل ، ومجرد وجودها بأعتبارها أفكار عقل ما ، أراد التعبير عن نفسه ، بصرف النظر عن مصادر تلك الافكار او شخصيه أو شخصية القائل ، أو صحة الوقائع التاريخية لتلك الأفكار . وبذلك يصبح تاريخ المسيحية عبارة عن كل أفعال التفسير والتأويل التى تمت على مراحل ، وكونت وحدة هذا الدين . وطالما التأويل عمل الفلسفة [2] . فالفيلسوف هو القادر على الوصول إلى قلب وجوهر الدين ، وطالما كانت هذه الأفكار المسيحية ، قد جاءت نتيجة تأويلات وتفسيرات ، فأنها نتاج إنسانى وليست وحياً إلهياً من أعلى ، وبذلك يختفى العنصر الإلهى من المسيحية ، فليست

(١) J.Royce : The Problem of Christianity p. I " The preface " .

(٢) J.Royce : The Problem of Christianity p. II. pp. 168-170

نصا دينيا محدداً ، فالواقعة التاريخية لمؤسسها مجهوله . والقديس « بولس » لا يعتبر المؤسس الحقيقى [1] . ، فهى عبارة عن فكر مجتمع إيمانى معين ، ظهر فى فترة ما . وبذلك يبدو « رويس » كمن يريد سلب المسيحية صفتها الآلهية ، وتحويلها إلى مذهب إنسانى .

كذلك من الواضح أن تصوير « رويس » لمشكلة المسيحية فى كيف يوفق المؤمن بين معتقداته ومتطلبات ومتغيرات القرن العشرين ، مشكلة لا تميز المسيحية عن غيرها من الأديان . فمشكلة كل دين ظهر فى مراحل حضارية سابقة ، تتمثل فى مجموعة من العقائد والآمال ، التى يوعد بها مجتمع المومنين ، وفى أن تلك العقائد يصعب موافقة العقل الحديث عليها . فأصبحت مشكلة المؤمن فى القرن العشرين تتمثل فى كيفية التوفيق بين معتقداته الدينية ومنجزات العصر الذى يحيا فيه . كذلك لما كانت الأديان تتطلب بطبيعتها تفسيرات وتأويلات وترتبط التأويلات بثقافة كل عصر وظروفه ، فإن هذه التأويلات قد تكتسب ، بسبب التقادم وعبادة القديم ، صفة القدسية التى كانت لمعتقدات الدين الأصلية ، ومثل هذا الأمر يتطلب من المؤمن دائماً التمييز بين ماهو أصلى وماهو تاريخى فى العقائد ، ولئن كانت المسيحية لا تفضل عن تاريخها ، إلا أن مسألة التمييز لا تعد قاصرة على المسيحية وحدها أو مشكلة تخص المسيحية فقط ، والواقع يبدو أن هدف « رويس » من دراسة مشكلة المسيحية فى إطار التمييز بين الأصلى والتاريخى من العقائد ، لم يكن بهدف الفصل ، وإنما بهدف « التوحيد » بمعنى إمكانية التوحيد بين مسيحية « بولس » والمسيحية التاريخية من خلال النظرية الميتافيزيقية للمجتمع ، وبذلك تستوعب الميتافيزيقا الدين كله . كما يلاحظ من جهة أخرى أن النظرية الميتافيزيقية المجتمع « تأويل » ، لاتهدف إلى الربط بين معتقدات المسيحية ونظريات فلسفية معينة ، أو التوحيد بينها وبين نظرية فى الوجود كما وحد أنصار « وحدة الوجود » ، ويلاحظ أيضاً أنها لاتهدف إلى تحويل المسيحية إلى نسق فكرى ، كما فعل « هيجل » ، إلا أنها قد أفرغت المسيحية من مضمونها وحولتها إلى فكر إنسانى ومشكلات إنسانية حياتية إجتماعية ، وإذا كان « هيجل » قد فصل النسق الفكرى المسيحى

(١) Ibid ., pp. 350-355.

عن شخصية المؤسس [1] . فإن « رويس » قد أهمل الواقعة التاريخية لشخصية المسيح ، وحول الأقوال والأفعال والأمثال إلى « رموز » و « علامات » ، وإعتبر الأفكار الأساسية فى المسيحية إنسانية المصدر ، ولها تفسيرها العقلى والميتافيزيقى ، فإعتبرها نتاج مجتمع ، ولما كانت طبيعة المجتمع لها جانبها الإنسانى والميتافيزيقى فالمسيحية فكر إنسانى ونتاج إنسانى .

والحقيقة بقدر ما تعد محاولة تأويل أقوال القديس « بولس » وإعتبارها « رموز » ، محاولة لتجديد الفكر المسيحى ، إلا أن مسألة تفسير « الرموز » لتناسب العصر الحديث ، أمر يحتاج إلى معايير لضبط التفسير ، وإلا يتحول الدين إلى مجموعة من الآراء الشخصية ويفقد جوهرة . والواقع أن « رويس » قد تعامل مع أقوال « بولس » . بإعتبار بعضها صور خيالية فنية ، مثل أقوال عن نهاية العالم ، وإعتبار البعض الآخر مجموعة من الآراء تستحق التأويل ، ولخص هذا البعض فى عبارة « بولس » بأن الروح الساكنة فى الكنيسة تحقق خلاص البشرية . وطالب المؤمن بالتمسك بهذه العبارة بإعتبارها تمثل جوهر المسيحية [2] . وما على المؤمن إلا فهم العبارة فى ضوء النظرية الميتافيزيقية « العالم تأويل » . والواقع أن بمثل هذا المطلب ، يتم القضاء على المعتقد الوحيد الملخص فى عبارة « بولس » فالنظرية « العالم تأويل » نظرية ميتافيزيقية عقيماً التجريد صعبة الفهم . فتصبح أقوال « بولس » إما صوراً خيالية تهمل ، وإما فكراً ميتافيزيقياً عميقاً . وبذلك يتم القضاء على ما بقى من العقيدة المسيحية ، بعد أن تم التخلص من شخصية المؤسس بحجة عدم توافر المصادر التاريخية ، وتتحقق للمسيحية إنسانيتها . كذلك إذا كان على المؤمن المتمسك بمذهب « بولس » القائل بأن خلاص الإنسان يتحقق بفعل الروح الإلهى الحاضر فى الكنيسة ، وتم تعريف الكنيسة الحقة التى تتجلى فيها الروح ، بأنها التى تسعى لوحدة البشرية ، وأى جماعة تخلص لوحدة النوع الإنسانى وتأمل فى تكوين المجتمع المحبوب ، تعد مظهراً لها ، فإن الكنيسة من خلال هذا التعريف ، تتحول إلى جماعة بشرية تجمعها وحدة الآمال والهدف . وبذلك يتم التخلص من مظهر أساسى من مظاهر الدين المسيحى ، المتمثل

---

(١) حسن حنفى – قضايا معاصره فى الفكر المعاصر " محاضرات فى فلسفه الدين عند هيجل

(٢) J.Royce : The Problem of Christianity p.II pp.350-360

فى الكنائس الرسمية ، وتفقد المسيحية رمزاً من موزها ، وتتحول إلى فكر إجتماعى . وإذا كانت أفعال المحبة والتكفير ، التى تقوم بها الروح تحقق خلاص البشرية ، فإن هذه الأفعال قد تحولت ، فى ضوء النظرية الميتافيزيقية إلى أفعال تفسر المتناقضات فى العالم وأفعال تصالح . كذلك لما كان العالم مجتمعاً ، ولكل مجتمع مفسره ، فالله مفسر العالم أو روح المجتمع ، أو الفكر الشامل ، وبذلك تصبح أى أفعال إنسانية تحول المجتمع إلى وضع أفضل أفعال تكفير ، ويتحول الله إلى فكر شامل ، ويكتمل إعتبار المسيحية فكراً إنسانياً .

كما يوضح مثال « الفيلسوف الزائر » من عالم بولس إلى العصر الحاضر أو القرن العشرين ، واقعة أن الفكر الفلسفى أسبق من الفكر الدينى ، وأن الفكر الدينى لا يستقيم بدون فكر فلسفى . أو أن العقل أشمل من الوحى ، ويحويه فى جوفه ، فأختيار الرجل المستيقظ فى العصر الحديث فيلسوفاً ، والمطالبة بالتأويل الفلسفى للوصول إلى المسيحية الحقة ، يوضح أن الفلسفة تمثل جذور الدين ، ومن أراد فهماً للدين عليه العودة إلى الجذور إلى الإصل والروح الكامنة فى النصوص ، إلى الروح الساكنة فى الكنيسة ، يبحث عن مبادئها الميتافيزيقية فى ضوء « عالم التأويل » ، وكأن الفلسفة مضمون ، والدين هو الشكل ، فلا حل لمشكلة المسيحية إلا بالتأويل والتفلسف . والحقيقة أن مناقشة « رويس » لمشكلات المسيحية ، وتفسير آرائه ، توحى بأنه يخرج عن المواقف الثلاث المألوفة للفيلسوف الدارس للدين . فالفيلسوف إما يكون حراً ناقداً وهادماً للدين ، وإما أن يكون مبرراً ومدافعاً أو ومؤمناً ، وإما أن يكون حيادياً ، فمن الواضح أن « رويس » يتنقل بين المواقف الثلاث ، فلئن كان يبدو من تفسيراته لمشكلة المسيحية ، أنه يحاول أفراغ مضمونها العقائدى ، إلا أنه لا يرفضها أو يأخذ منها موقف الهدم ، والحقيقة ومما يبدو فى محاولة « رويس » تحويل الأفكار المسيحية إلى فلسفة بالتأويل ، فمن الواضح من المسائل التى عالجها ، وعدم رفض أقوال « بولس » ، وإنما محاولة تأويلها ، ماهى إلا صورة للفيلسوف المؤمن ، الذى يرفض فى الظاهر العقائد الجامدة ، ويسعى فى الباطن للدفاع عن المسيحية . كذلك ماظهر من محاولة تحويل المسيحية من وحى إلى عقل ومن مصدر إلهى إلى مصدر

إجتماعى ، ومن إعلاء لصورة الإنسان بصورة عامة ، فلقد هدف منها « رويس » أيضاً الدفاع عن المسيحية بصورة غير مباشرة ، فالمسيحية دين العقل والعقل قادر على توضيحها ومفهما ، وهى الدين الوحيد الذى يرفع من شأن الإنسان .